عباس محمود العقاد

ديوان

عابر سبيل

الكتاب: ديوان (عابر سبيل)

الكاتب: عباس محمود العقاد

الطبعة: ٢٠٢١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)



٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com **E-mail:** info@bookapa.com

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

العقاد، عباس محمود

ديوان (عابر سبيل) / عباس محمود العقاد

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

٩٣ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولي: ٧ – ٤٥٢ – ٤٤٦ – ٩٧٧ – ٩٧٨

أ – العنوان   رقم الإيداع : ١٣٣٥٢ / ٢٠٢٠

ديوان

عابر سبيل





الموضوعات الشعرية

كلمة: «أنا حاضرة» إذا كتبتها معشوقة إلى عاشق، حملت إليه من الفرحة والشوق، وأشاعت في نفسه من الأمل واللذة ما تضيق عنه أشعار العبقريين ورسائل البلغاء، وهي تُعدُّ من أتفه الجمل، التي يتألف منها الكلام المركب المفيد، وليس في وُسْعِ تلميذ يتدرب على تأليف الجمل من مبتدأ وخبر أن يأتي بأتفه منها في الكلام.

وقد يدخل القادم الطارئ إلى مجلس، فيُلقي فيه بكلمتين اثنتين هما: «فلان يحترق»، ويكون في المجلس أبو فلان هذا وصديق له، وإنسان لا يعرفه، وعدو من أعدائه، وآخرون يعرفونه بالقالة الحسنة، وآخرون يعرفونه بالقالة السيئة؛ ثم تنظر إلى صدى الكلمتين في نفوس أولئك الجلساء؛ فإذا هو مختلف أشد اختلاف: هذا يَثِبُ معولًا، وهذا يجري مهرولًا، وذلك يسمع ويكاد لا يشعر بشيء، وإلى جانبه من يسمع ويبتسم، ومعهم من يأسفون وهم يسمعون، ومعهم أيضًا من لا يأسفون وكأنهم لا يسمعون. وإنما اختلف شعورهم بفلان هذا الذي يحترق؛ فاختلف معنى الكلمتين، وأثر هذا المعنى حسبما اختلف الشعور.

والجائع السليم يَزْدَرِدُ الرغيف القفار، يحس في أكله من اللذة والاشتهاء ما لا يحسه مَنْ يجلس إلى المائدة الفاخرة وهو متخوم أو ممعود؛ وإنما اختلفت الرغبة، واختلف الاشتهاء، فاختلف الذوق والشعور.

إن إحساسنا بشيء من الأشياء هو الذي يخلق فيه اللذة، ويبث فيه الروح، ويجعله معنًى «شعريًّا» تهتز له النفس، أو معنى زَرِيًّا تصدف عنه الأنظار، وتعرض عنه الأسماع، وكل شيء فيه شِعْر إذا كانت فينا حياة، أو كان فينا نحوه شعور.

فليست الرياض وحدها ولا البحار ولا الكواكب هي موضوعات الشِّعْر الصالحة لتنبيه القريحة واستجاشة الخيال، وإنما النفس التي لا تستخرج الشِّعْر إلا من هذه الموضوعات، كالجسم الذي لا يستخرج الغذاء إلا من الطعام المُتَخَيَّر المستحضر، أو كالمُعْدَم الذي يظن أن المُتْرَفِين لا يأكلون إلا العسل والباقلاء!

كل ما نخلع عليه من إحساسنا، ونفيض عليه من خيالنا، ونتخلله بوعينا، ونبث فيه من هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا – هو شعر وموضوع للشعر؛ لأنه حياة وموضوع للحياة.

وإن التصور لهُوَ خير مِعْوَان للإحساس وشاحذ للرغبة أو للنفور.

فإن الأم التي تنظر إلى طفلها الوليد، ثم تقضي عشرين سنة وهي تتصوره عريسًا سعيدًا، لا تفرح به يوم عرسه، كما تفرح بتصوره والرجاء في بقائه طوال تلك السنين، فإنما من نسج التصور نخلق الحُلل النفيسة التي نُضيفها على آمال الغيب ومشاهد العيان.

فلنجمع لدينا الرغبة والتصور، نجمع لدينا زادًا من الشعر لا ينفد وموضوعات للشعر تشتمل على كل ما تراه العيون وتمسُّه الأذواق،

ولنتوجه بالحواس الراغبة إلى ما نشاء، نستمرئ الشعور به والتعبير عنه، كما نستمرئ المحاسن المشهورة والمناظر المأثورة؛ لأن المحاسن نفسها لن تهزنا إليها، ولن تحل عقدة من ألسنتا؛ حتى يزينها لنا الحِّسُ الناشط والخيال المتوفز، وإن أجمل وجه لَيَمُرُّ بنا في ساعة الجمود والوجوم كما تمر بنا طلعة الخادم العجوز التي نراها صباح مساء.

وعلى هذا الوجه يرى «عابر السبيل» شِعْرًا في كل مكان إذا أراد: يراه في البيت الذي يسكنه، وفي الطريق الذي يعبُره كل يوم، وفي الدكاكين المعروضة، وفي السيارة التي تُحْسَب من أدوات المعيشة اليومية، ولا تُحسب من دواعي الفن والتخيل؛ لأنها كلها تمتزج بالحياة الإنسانية، وكل ما يمتزج بالحياة الإنسانية فهو ممتزج بالشعور، صالح للتعبير، واجد عند التعبير عنه صدًى مجيبًا في خواطر الناس.

وعندي أننا في حاجة – نحن أبناء العصر الحاضر – إلى هذا التوجيه؛ لإنقاذ النفس الإنسانية لا لإنقاذ المَلَكَة الفنية وحدها، فإننا إذا تعودنا العناية بالأشياء؛ وجدنا فيها ما يستحق العناية، وينفض عن النفس تلك التفاهة، التي غلبت على الحياة وعلى الشعر والفن في هذه الأيام الحديثة.

ومن الواضح أن التفاهة إنما تغلب على النفس وعلى الشعر لسببين: أحدهما: أن أبناء هذا العصر – ولا سيما في أوربا – فقدوا الإيمان بالمثل العليا والعقائد الراسخة والفضائل الروحية، وفَتَرَتْ نفوسهم من هذه الناحية؛ فلا يصغون إلى الشاعر الذي يَتغنَّى لهم بهذه المعاني المهجورة، ولا يظنون أن هناك أحدًا يصدقها أو يغتر بدعواها،

ومَنْ حَدَّثَهم في أغراضها التفتوا إليه ساخرين مُسْتَرِيبِين، كمَنْ يلتفت إلى محتال يحاول أن يمد يديه إلى كيس نقوده، وإن كثيرًا من الشعراء والكتاب ليصطنعون «التفاهة» اصطناعًا؛ ليدفعوا عنهم رِيبَة الاحتيال، ويظهروا للناس أنهم أفلتوا من أوهاق هذه الخديعة.

والسبب الآخر الذي وَسَمَ الشعر الأوربي الحديث بسمة «التفاهة» هو «آداب الصالونات» الشائعة، واعتبار الجمهرة الغالبة من الشعراء والكتاب أن العلاقة بين الشاعر وقارئه كالعلاقة بين جلساء «الصالون» أو جلساء الفراغ، الذين لا يتحدث الواحد منهم إلى صاحبه إلا فيما لا يهم، ولا يثير الخاطر ولا ينفذ إلى ما وراء الظواهر؛ فلا تكون العلاقة بين جلساء الصالون علاقة معلم وتلميذ، أو علاقة صفيين يتكاشفان بلواعج الضمير وهموم السريرة، ولا يُعَدُّ من الذوق عندهم أن يخرج الإنسان من الثرثرة العامة إلى الدخائل الخاصة والشواغل المطوية.

ولقد كان التهجم العصري خليقًا أن يقضي على آداب الصالونات، كما يقضي «السبورتسمان» على «الجنتلمان»، لولا أننا في عصر تفككت فيه روابط المجتمع، وضعفت الأواصر الإنسانية التي قدستها الأمم الماضية زمنًا طويلًا؛ فجاء التهجم العصري مقرونًا بالأنانية، التي لا يشغلها شاغل من الدنيا غير: إشباع اللذة، وقضاء اللحظة العابرة، والإعراض عما وراء ذلك من الأحاديث والتَّعِلَّات، فلا فرق إذن بين أَحْلَاس «الصالونات» الذين يتكلمون فيما لا يهم؛ مُجَارَاةً للعُرْف والكياسة، وبين المتهجمين العصريين الذين يتكلمون فيما لا يهم؛ لأنهم لا

يهتمون، ولا يحبون أن يهتموا؛ والتفاهة من ثَمَّ غالبة على هؤلاء وهؤلاء.

فإذا تعودنا أن نشعر بما حولنا حقَّ الشعور، وأن نخلع على اليوم الحاضر ما كنا نخلعه على الزمن الماضي من سرابيل الجمال والخيال؛ استطعنا أن نقشع عن أبصارنا غشاوة الماضي، دون أن نجعل التفاهة نتيجة لازمةً لانقشاع تلك الغشاوة.

فإن كنا لا نُصدِّق بواق الواق، فلنصدق بالبيوت، وإن كنا لا نصدق بالأبطال، فلنصدق بالرجال، وإن كنا لا نصدق بالحب النادر، فلنصدق بالحب الشائع، وإن كنا لا نحلم فلنشعر، أو كنا لا نجعل الحلم واقعًا، فلنجعل الواقع حلمًا، ونحن غير مخدوعين ولا سائمين.

لماذا يكون الحاضر وقفًا على خرافات الماضي أو على أحلامه وأمانيه؟ إن زهرة هذا الربيع لا تنضر؛ لأن زهرة نضرت قبل ألف عام، وإن الإنسان ليستطيع أن يحيا اليوم وأن يشعر بالدنيا؛ لأنه تحت الشمس وفوق الأرض وبين الناس، وإن كان لا يحب الدنيا للمزايا الصحيحة أو المكذوبة التي أَحَبَّها من أجلها أسلافه وسابقوه.

تلك رسالة هذا الديوان الجديد «عابر سبيل»، وهو اسم يدل على مرماه، ولستُ أقول إنه أدَّى هذه الرسالة، ولكني أرجو أن يقنع القُرَّاء بأنها رسالة قابلة للأداء.

عباس محمود العقاد

الموضوعات

بيت يتكلم

كل بيت من البيوت التي تَعَاقب عليها السكان لو ألقيتَ عليه طَلْسَم الخيال، وأمرتَه بالكلام فتكلم؛ لانطلقت منه أسرار وأشباح يزدحم بها فضاء المكان، ولسمعت عجبًا لا تسمع الآذن أعجب منه، وليس الذي يتحدث به «البيت» في القصيدة التالية إلا قليلًا من كثير:

جميـــع النـــاس ســـكاني	فهـــل تـــدرون عنـــواني؟
ومـــا للنـــاس مـــن ســـرٍّ	عـــدا آذان حيطـــاني
حـــديثي عَجـــبٌ فيـــه	خفايـــا الإنـــس والجـــانِ
فكـــم قضَّـــيت أيـــامي	بـــأفراح وأحـــزانِ!
وكـــم آويـــت مـــن بَـــرٍّ	وكـــم آويـــت مـــن جـــانِ!
فـــإن أرضـــاكم ســـري	فهـــاكم بعـــض إعلانـــي

•••

بنـــي الإنســـان لـــن أحفـــ	ـــل فـــي دهـــري بإنســـانِ
ألـــم أعـــرفكمُ طـــرًّا	فلـــم أســـعد بعرفـــاني؟
أتـــاني أول الســـكْن [1]	ومـــا اســـتوفيتُ بنيـــاني
ومـــا أرهفـــت آذانًـــا	ولـــم آنَـــسْ بقُطَّـــانِ
وأصـــغيت علـــى مهـــل	فطاشـــت كـــل آذانـــي

([1]) السكان.

همـــا زوجـــان، أو شـــيطا نــــــة لاذت بشـــــيطانِ

وقـــــد عاشـــــا وفيـــــين بتقـــــــدير وحســــــبانِ

وراحـــا – هكـــذا يحكـــو ن – فـــــي رَوْح وريحـــــانِ

ومـــا أبصـــرتُ مـــن هـــذا ولا مـــن تلـــك فـــي آنِ

ســـــوى خَوَّانــــة خرقـــا ء تفـــري عـــرض خَـــوَّانِ

إذا مـــا ضـــحكا يومًـــا علـــى غـــش وبهتـــانِ

حســـدت البيـــد والأطـــلا ل فـــي غيظـــي وكتمـــاني

وأشـــفقت مـــن النقمـــ ـــة أن تهتـــز أركـــاني

وراحـــا – هكـــذا يحكـــو ن – فـــــي رَوْح وريحـــــانِ

•••

وجـــاء الســـاكن الثـــاني وبـــئس الســـاكن الثـــاني

يـــراه النـــاس ذا مـــال وأفــــــراس وغيطـــــانِ

وقـــد شـــوهني بخـــلًا وأعرانـــــي وأعيـــــاني

وقـــد صـــيرني ســـجنًا ومنـــه كـــان ســـجاني

فلمـــا طـــال بـــي عهـــدًا ولـــم أســـعد بهجـــرانِ

وددت لـــوَ انَّ لـــي فـــي كـــل جُحْـــر ألـــف ثعبـــانِ

بـــديلًا منـــه أرضـــاه وأحبـــــوه بغفرانـــــي

وأنفـــث ســـمها أو يتـــ ـــقي شـــري ويخشـــاني

إلـــى أن آده [٢] أجـــري ولـــم يظفـــر بنقصـــانِ

فـــأخلاني ولـــن أنســـى ســـروري يـــوم أخلانـــي

•••

(٢) أثقله.

وكـــان الســـاكن الثالـــ   ـــث ذا عـــز وســـلطانِ

فمـــا ارتبـــتُ بـــأن العـــ   ـــز والذلـــة ســـيانِ

ومـــــا ألفيتـــــه إلا   لئيمًـــا جـــد غفـــلانِ

ضـــعيفًا يســـتر الضـــعف   بطغيـــــان وعـــــدوانِ

وكـــم أَذْعَـــن للطـــاغي   عليـــه شـــر إذعـــانِ

إذا مـــا لقـــي النـــاس   بكبـــر منـــه طنَّـــانِ

فمـــا أصـــغر مـــا ألقـــا   ه منـــه بـــين جـــدراني

•••

وأمـــا رابـــع القـــوم   فـــذو علـــم وتبيـــانِ

حشـــا بـــالورق اليابـــ   ـــس والأخضـــر حيشـــاني

فمـــا لـــي موضـــع فـــي الأر   ض أو مـــن فـــوق عمـــدانِ

ومـــا لـــي مطـــبخ أو مخـــ   ـــدع أو بهـــو ضـــيفانِ

ولا زاويـــــــــــة إلا   وفيهـــا الكتـــب تلقـــاني

أَبَـــى للـــنفس دعواهـــا   ولـــم يســـمع لجثمـــانِ

فـــلا ســـهرة أحبـــاب   ولا جلســـــة نـــــدمانِ

فمـــا أجهلـــه بالخلـــ   ـــق ذاك العـــالم العـــاني!

أَبَـــيْنَ النـــاس يُحْتَـــاج   إلـــى علـــم وبرهـــانِ؟

وهـــم عِمْيَـــان ظلمـــاء   سَـــرَوا فـــي إِثْـــر عميـــانِ؟

كثيـــر لـــك يـــا إنســـا   ن فـــي دنيـــاك عينـــانِ!

•••

وأمـــا الخـــامس الجـــاني   فناهيـــــك بشـــــهوانِ

فمـــــا زَوَّدنـــــي إلا   بأثـــــداء وأعكـــــانِ

وهُتَّاف بألحان — وسُمَّار على الحانِ
إذا أمسيتُ مساني — بأشكال وألوانِ
على الأبواب ما يرضيـ — ـك من حسن وإحسانِ
ومن صون لأسماع — ومن غض لأجفانِ
فلا تنظرهمُ ثَمَّـ — ـة وانظر بين أحضاني
فيا لله كم في الأر — ض من غي وغيانِ
وكم في القوم من مخدو — ع آباء وإخوانِ
وأزواج وأصهار — وخلان وأخدانِ
لوَ انِّي قلت ما أدري — لهدوا كل أركاني
فنعم الصمت والحكمـ — ـة يا صخري وصواني!

•••

وكم صاحبتُ من أصحا — ب آداب وأديانِ
تجافوا وصمة العاصي — وعافوا شهوة الزاني
وباتوا بين قربان — وترتيل لقرآنِ
ولم يأسوا من الدنيا — على غَبْن وحرمانِ
إذا ما شرفَتْني زمـ — ـرة منهم بصحبانِ
حسبت الأرض تجفوني — فأنساها وتنساني
وقالوا الجان لا تقر — ب من مجلس فرقانِ
فقد ألفيتُ بعض الإنـ — ـس في العنصر كالجانِ
ولكن شر ما آويـ — ـت في لؤم وعصيانِ
رياء الخائن العادي — على أهل وأوطانِ
تَلَقَّاهم بتمويه — ولاقوه بإيمانِ

وفـــي حجـــرة أســـراري ... وفـــي ظلمـــة أركـــاني

يبيـــع الحـــوزة الكبـــرى ... بربـــــع أو ببســـــتانِ

ويعطـــي الحـــق والذمـــ ... ـــة والفُتيـــا بأثمـــانِ

ويُفنــــي أمــــة تحييـــ ... ـــه وهـــو الزائـــل الفـــاني

ويمشــــي بــــين قـــتلاه ... رفيـــع الـــذكر والشـــانِ

•••

ولـــم أحمـــد مـــن الضـــيفا ... ن ضـــيفًا مثـــل فنَّـــانِ

تـــــولاني بإبـــــداع ... مـــن الفـــن وإتقـــانِ

وغطـــى كـــل جـــدراني ... بمنظـــــور ومُـــــزْدَانِ

وأوحـــى الحســـن واســـتوحا ... هـ مـــن جنـــات رضـــوانِ

فحينًـــا حســـن مكســـوًّ ... وحينًـــا حســـن عريـــانِ

بريئًـــا فـــي ســـماء الفـــ ... ـــن مـــن عبـــث وأَدْرَانِ

وفَتَّانًـــا علـــى الحاليـــ ... ـــن لكـــن أي فَتَّـــانِ

كمـــا تفتنـــك الزهـــر ... ة فـــي أعطـــاف أغصـــانِ

•••

جمـــوعٌ لســـت أُحْصِـــيهَا ... ولـــو دونـــتُ ديـــواني

ومثلـــي كـــل جـــاراتي ... ومثلـــي كـــل جيرانـــي

عرفـــتُ النـــاس أشـــتاتًا ... بـــلا عـــدٍّ وحســـبانِ

فلـــم أعـــرف أأعـــداء ... هـــم أم جمـــع أقـــرانِ؟

إذا مـــا اختلفـــوا فـــي سيـــ ... ـــمة تبـــدو وشـــغلانِ

فهـــم فـــي المـــوت أشـــباهٌ ... وفـــي ســـقم وأشـــجانِ

ومـــا مـــنهم فتـــى إلا ... بكـــى حينًـــا وأبكـــاني

مســـــاكين فـــــلا تحفــــل ... مــــن النـــــاس بإنســــانِ
ولا تحســـــد فتـــى مــــنهم ... علـــى بـــــأس وإمكـــــانِ
فــــــأعلاهم وأدنـــــــاهم ... أمـــــام الغيـــــب صِـــنْوَانِ

•••

نزيـــــل المنـــــزل الخـــــالي ... ألا تعـــــرف عنـــــواني؟
إذا مـــــا طفــــتَ حوليـــــه ... فثـــــق أنـــــك تلقـــــاني
فمـــــا مــــن منـــــزل إلا ... وفيــــه بعـــــض ألــــواني
تأمـــــل فـــــي نواحيــــه ... وراقبـــــــه بإمعـــــــانِ
ولا يخـــدعك صـــمت فيـــ ... ـــــه أو تفتـــيح بيبـــــانِ
ولا تحســـــبه خِلْــــوًا مــــن ... مغــــــاليق وأكنــــــانِ
إذا مـــا كانــــت مستحضـــ ... ـــــــر أرواح وحـــــــدثانِ
فقــف فــي المنــزل الخــالي ... وأَرْهِـــفْ سَـــمْعَ يقظـــانِ
وأغمــــض فيـــه أجفانـــ ... ـــك وانظــر غيــر وَسْــنَانِ
تـــرَ الأطيــــاف أفواجًــــا ... وتســـمع مـــوج طوفـــانِ
وتجمـــع كـــل مـــا يُجمـــ ... ـــع مـــن ربـــح وخســـرانِ
ولا يخطئــــــك تـــــاريخ ... ولا دارس أزمـــــــــــانِ

أمام قفص الجيبون في حديقة الحيوان

القرود العليا هي: «الشمبانزي»، و«الأرانغ أتانغ»، و«الغورلا»، و«الجيبون» وهو فرع وحده في رأي كثير من النشوئيين؛ لأنه صغير الحجم مختلف التركيب بعض الاختلاف.

ومن هذه القرود العليا ما يصلح – من الوجهة الشِّعْرية – أبًا للفلاسفة

والحكماء، وهو «الشمبانزي»؛ لتأمله وسكونه واشمئزازه من الحياة!

ومنها ما يصلح أبًا لرجال المطامع والوقائع، وهو «الغورلا» لبطشه وهياجه وقوة عضله.

ولكن «الجيبون» وحده هو الذي يصلح من الوجهة الشعرية أبًا للفنانين والراقصين؛ لأنه لعوب طروب، رشيق الحركة خفيف الوثوب، يقضي الكثير من أوقاته في الرقص والمناوشة، ويحب أن يعرض للناس ألاعيبه وبدواته، وإذا صعد أو هبط في مثل لمح البصر فإنما يصعد ويهبط في حركات موزونة متعادلة، كأنما يوقعها على أنغام موسيقية لا تخطئ في مساواة الوقت ولا في مضاهاة المسافة، فإذا شَهِدْتَه فاسأل نفسك: ما بال هذا القافز الماهر قد وقف حيث هو في «سلم الرقي»، ولم يأت على درجات السلم كلها صعودًا ووثبًا في بضعة ملايين من السنين؟!

هذا سؤال، وسؤال آخر تعود فتسأله: ماذا يفيد من الصعود إن كان قد صعد؟ الطعام المطبوخ؟! هو يأكل طعامه الآن نيئًا وذلك أنفع، أو يأكله مطبوخًا على يد غيره، وذلك أدنى إلى الراحة!

أو يفيد العلم؟ قصاراه إذن أن يقول: «لست أدري»، كما يقولها الإنسان كلما واجه معضلات الوجود.

أو يفيد وزن الشعر؟ هو الآن يزن الحركة كما توزن التفاعيل والأعاريض، وغاية مسعاه إذا أتقن وزن الكلام أن تعجز يداه وقدماه عن

رشاقة الوثب ورقصات اللعب؛ لتستعيض منها بترقيص الكلمات وتوقيع المعاني وهو قاعد حسير!

أمام قفص الجيبون مجال واسع لأمثال هذه الأسئلة وأمثال هذه الموازنات:

أيُّهـذا الجيبـون أَنْعِـمْ سـلامًا ... يـا أبـا العبقـري والبهلـوان
كيـف يرضـى لـك البنـون مقامـا ... مُزْرِيًـا فـي حديقـة الحيـوان؟

•••

العـب الآن وانتظـر بعـد حقْبـا ... تـرقَ فـي «سـلم الرقـي» وتعـلُ
كيـف لـم تصـعد السـلالم وثبًـا ... أيهـا الصـاعد الـذي لا يمـلُ

•••

يـا عميـد الفنـون صـبرًا ومهـلًا ... وارضَ حـظ الهتـاف والتهليـل
مرحبًـا مرحبًـا وأهـلًا وسـهلًا ... والهـدايا مـا بـين لـب وفـول

•••

انتظـر يـا صـديق شـيئًا فشـيئًا ... تطـبخ القـوت كلـه بيـديكا
غيـر إنـي إخـال مـا كـان نيئًـا ... منه أجدى في الحالتين عليكا

•••

انتظرْ يا صديق مليون عام ... أو ملايـين لسـتُ والله أدري
إن تـدانيتَ بعـدها مـن مقـامي ... فقُصَارى المطاف أن لستَ تدري

•••

واصـطبرْ إن عنـاك نثـر ونظـم ... سـوف تتلـو نثـرًا وتـنظم شـعرًا
وغـدًا يطفـر الخيـال ويسـمو ... والـذراعان لا تطيقـان طفـرًا

•••

وجمــال الوجــوه ســوف تــراه في المرايا بعد الطواف الطويلِ
سوف تحلو في ناظريك حلاه فتَهيَّــأْ للضـــم والتقبيـــلِ!

•••

وإذا مــا درســتَ أوزان رقــص بعد لأي فالرقص فيك انطباعُ
هل تنال الكمال من بعد نقص إن أَقَلَّتْـــك فكـــرة لا ذراعُ

•••

قفـصٌ أنـت فيـه أرحـب جـدًّا مـن فضـاء نُقـيم فيـه أُسَـارَى
قد ضللنا فيه وهيهات نُهْدَى ونجـوم السـماء فيـه حَيَـارَى

•••

انتظرْ سوف تفهم الشيء باسمٍ بعـد رسـمٍ وغـابر بعـد حـالِ
فـإذا مـا طلبـتَ بـاطن فهـم يـا صـديقي طلبـتَ أي محـالِ

•••

أيـن بـالأمس كنـتَ يـوم ابتـدأنا والتقينـا بـآدم فـي الطريـقِ
قـد بلغنـا فـأين تبلـغ أينـا حين تمضي وراءنا يا صديقي؟!

•••

الهُ والعب واضحك كما شئتَ منا أنـت طفـل الزمـان والطفـل غِـرٌّ
سوف تبكي حزنًا وتضحك حزنًا حـين يمضـي دهـر ويقبـل دهـرٌ

عتب على الجيبون

ذهب بعض الأدباء إلى حديقة الحيوان بعد نشر القصيدة السابقة، وقصدوا إلى قفص «الجيبون»؛ فإذا هو في تلك الساعة كاسف البال صادِف «المزاج» عن الرقص واللعب؛ فجاءوا إلى صاحب الديوان يطالبونه بتعويض أجر الدخول إلى الحديقة، كأنه هو الذي يعرض

الجيبون ويتكفل للمتفرجين بتمثيل ألاعيبه، وفي الأبيات التالية رجاء لذلك الفنان ألا يُكذِّب شهادته، ولا يخيب ظنون الأدباء في مدحه وتقريظه:

أيهـــا الجيبـــون لا تفـــ	ـــضح تقـــاريظي وشـــكرِي
أنـــت بعـــد اليـــوم محســـو	ب علـــى نقـــدي وشِـــعْرِي
أنـــت إن لـــم تحســـن الرقـــ	ـــص فمـــن يحســـن عُـــذْرِي؟
أنـــت إن قصـــرتَ قـــالوا	شـــاعر بـــالزور يُطْـــرِي
مـــا لـــذا العقـــاد والتقريـــ	ـــد و«التقـــريظ» يُغْـــرِي
إنـــه يهـــرف بالمـــد	ح ولكـــن لـــيس يَـــدْرِي
فـــاملأ الأقفـــاص يـــا جيـــ	ـــبون طفـــرًا أي طَفْـــرِ
وقـــل: العقـــاد لا يخـــ	ـــطئ فـــي تعريـــف قـــدرِ

قِرْشٌ مَعْقُوْل

إن أحبـوا القـرش لـم يجـدوا	عجبًـا فـي حبـه الخطـرِ
فـإذا مـا الطفـل هـام بـه	جعلـوه طرفـة السـمرِ
يـا محبـي القـرش وَيْحَكُـم	هـل سـمعتم أصـدق الخبـرِ؟
هـل علمـتم فـي طـرائفكم	أي قـرش بالهيـام حـرِ؟
ذاك قـرش الطفـل نضـحك مـن	حبـه إيـاه فـي الصـغرِ
وهـو أولـى مـن قروشـكم	كلهـا بالحـب والسـهرِ
هـو «حـقٌّ» عنـده جَلَـل	حاضـر الميعـاد والأثـرِ
ثمـن الحلـوى يَلَـذُّ بهـا	وجمـال الحسـن والنظـرِ
وأفـانين الملاعـب لـم	تخـلُ مـن نفـعٍ ومـن ثمـرِ

وهــو وَهْــمٌ فــي خــزائنكم وخيـــال كـــاذب الـــوطرِ
وســـجين ثـــم مُـــدَّخَر لرجـــاء غيـــر مـــدخرِ
لا تعيبـــوا الطفـــل وانتفعـــوا منـــه بالآيـــات والعِبَـــرِ
الحيـــاة الحـــق ناضـــرة فـاقطفوا مـن غصـنها النضـرِ

وَجْهَات الدكاكين

هَـذِي المطـارف صـفِّفتْ عجبًـا فـــانظرْ وراء ســـتارها عجبـــا
كـــم منظـــر تجلـــوه مبتعـــدًا أو منظـــر تجلـــوه مقتربـــا
إن الـــدكاكين التـــي عرضـــتْ تلـك المطـارف تعـرض النُّوبـا
تحكـــي الفواجـــع كلهـــن لنـــا صـــدقًا ولا تحكـــي لنـــا كـــذبا
هـــذا الســـتار فـــنحِّ جانبـــه تجـــد القضـــاء يهيـــئ اللعبـــا

•••

انظـــرْ إلـــى النَسَّـــاج منحنيًـــا يَطـــوي بيـــاض نهـــاره دأبـــا
وانظـر إلـى السمسـار مقتصـدًا أو طامعًـا فـي الـربح مُغتصـبا
وانظـر إلـى التجـار مـا عرفـوا غيـــر النضـــار وَعُـــدَّهُ تعبـــا
وانظر تـرَ الشـارين قـد سـمحوا بالمـــال يَقطـــر مـــن دم صـــببا
وانظـــر تـــرَ الحســـناء لابســـة لـــم تلـــتمس غيـــر الهـــوى أَرَبَـــا
لـو تعـرف الحسـناء مـا صـنعت شـــقتْ جيـــوب ردائهـــا رَهَبَـــا

•••

هـــذا زمـــان العـــرض فـــانتظروا عرضًـــا يرينـــا الويـــل والحربـــا
بَهَـــرَ النفـــوس بكـــل ظـــاهرة وطـوى جمـال الـنفس محتجبـا
فالويـــل للعـــين التـــي امـــتلأت والويـــل للقلـــب الـــذي نضـــبا

أصداء الشارع

بنـو جِرْجـا ينـادون   علـى تفـاح أمريكـا

وإسـرائيل لا يـألو   ك تَعْرِيبًـا وتتريكـا

وبتراكـي إلـى الجُـودِ   علـى الإسـلام يـدعوكا

وفـي كَفَّيْـه أوراق   بكسـب المـال تُغريكـا

وأقـزامُ مـن اليابـا   ن بالفصـحى تُحيِّيكـا

وإن لا تكُـنِ الفصـحى   فبالإيمـاء تغنيكـا

قريـبٌ كلهـا الـدنيا   كرَجْـعِ الصـوت مـن فِيكَـا

دعـا الـداعي فَلَبَّـوْه   طغـاةً أو صـعاليكا

إذا ناديـتَ يـا دِينَـا   رُ مـن ذا لا يلبيكـا

فمـا فـي النـاس هـاذاك   ولا فـي الأرض هاتيكـا

عصر السرعة (١)

طـار فـي الـذُّرَى   هـام فـي السـهول

مُسـرِع الخُطَـىْ   حيثمـا يجـول

مـا لـه عَـدَا   عـدوةَ الوعـول

مـا لـه سـطا   سـطوةَ السـيول

فـي صـعوده   يشـبه النـزول

طَيْفٌ من حديد

الطيف أدخلُ شيء في باب الشعر والأحلام.

والسيارة أدخلُ شيء في باب الصناعة والحركة اليومية.

ولكن السيارة قد تتسرب بحديدها وضوضائها إلى عالم الأحلام إذا نظرت إليها في حالة من الحالات.

وإلا فما هو الطيف؟!

هو شيء يُرى ولا يُلمس، وشيء يتحرك ولا يُسمع لحركته صدى، وشيء يُحيط به البعد والظلام.

فانظر إلى سيارة يَسري مصباحها على البعد في ليلة مظلمة، وأنت ترى الطيف الذي يتحرك ولا يُسمع حراكه، وتلمحه ولا تكاد تتثبت من مرآه.

ذاك بُعـــــدٌ وانســـــياب   وظـــــلام وانســـــجام

أي شــــيء ثَــــم يجـــري؟   هــــو طيــــفٌ لا كـــلام

•••

أي شــــــيء ذاك إلا الـــــ   ـــطَّيْف يَســـري فـــي منـــام

يَطـــــرق العـــــين وهيــــ   ـــهات[٣] بالســـمع يُـــرَام

•••

تلــــــك ســــــرعة الــــــ   ـــــــهارب العَجـــــــول

تلــــــك ســــــرعة الــــــ   ـــــــحائر المَلُــــــول

تلــــــك ســــــرعة الــــــ   آثــــــم الخجـــــــول

أيــــــن ســــــرعة الــــــ   ـــــسَّعْي والوصـــــول

عصر السرعة (٢)

طاروا وداروا مسرعين في الثرى   يركــب مــنهم رأســه مــن ركبــا

(٣) هيهات، أي: بَعُدَ جدًّا.

لـو لـم يكـن هـذا الزمـان آفـةً ما اتخـذوا السـرعة منـه مهربـا

عسكري المرور

مـــــتحكمٌ فـــــي الـــــراكبين وما لــــه أبـــــدًا ركوبـــــة
لهـــم المَثُوبَـــة مـــن بَنَـــا نـــك حـــين تـــأمر والعقوبـــة
مُـــرْ مـــا بـــدا لـــك فـــي الطريــ ـــق ورُضْ علـــى مهـــل شـــعوبه
أنـــــا ثـــــائر أبــــدًا ومـــــا فـــي ثـــورتي أبـــدًا صـــعوبة
أنـــــا راكـــب رِجْلِـــي فـــلا أمـــــرٌ علـــــيَّ ولا ضـــــريبة
وكـــــذاك راكــــب رأســـــه فـــي هـــذه الـــدنيا العجيبـــة

•••

هـــو طيـــف مـــن حديـــد هـــو طيـــف مـــن ضِـــرام
هـــــو ســــــيارة ركـــــب خطـــــرت فـــــوق رَغَـــــام
ظهـــرت، غابـــت، تـــوارت غيـــــر مصـــــباح يُشـــــام
وأراهـــــــــا نقَّلَتْنِـــــــــي وهـــــي للنقـــــل لـــــزام
ســــهوة مـــن عـــالم اليقـــ ـــظى إلـــى دنيـــا النيـــام

الفنادق (١)

فنـــادق تشـــبه الـــدنيا لِقَـــاءً وتفرقـــةً وإن قَصُـــر المقـــامُ
تقـــول لكـــل مـــن وفـــدوا عليهـــا بـــأن العـــيش نهـــب واغتنـــامُ
فمـــن تلقـــاه فـــي يـــوم صـــباحًا تفارقـــه إذا جـــنَّ الظـــلامُ
ورُبَّ عصـــية فـــي الحـــب باتـــت وأقـــرب مـــن بـــدايتها الختـــامُ
تقـــول لقلبهـــا مـــا الحـــب إلا أمـــان حيـــث يـــزدحم الزحـــامُ
فـــلا ســـر هنالـــك مســـتباح ولا شـــوق هنالـــك أو غـــرامُ

•••

منــازل كــل مــا فيهــا انســجام!　　منــازل كــل مــا فيهــا انقســامُ!
بنوهــا أســرةٌ مــا شــذَّ فيهــا　　مقـــام أو منـــام أو طعـــامُ
وما افترقت شعوب الأرض يومًا　　كما افترقوا إذا انصرفوا وهاموا
ففــيهم يَافِــثٌ حينًــا وشــيثٌ　　وفـــيهم تـــارة حـــامٌ وســـامُ

الفنادق (٢)

حَســـبُ الفنـــادق أن تـــذكرنا　　مـــرَّ الفَنَـــاء بكـــل مـــن يحيـــا
تبـــدو الوجـــوه لعـــين عابرهـــا　　وتغيـــب عنـــه كأنهـــا رؤيـــا
فـــي كـــل توديـــع وتفرقـــة　　شـــيء مـــن التوديـــع للـــدنيا

بعد صلاة الجمعة

علــى الوجــوه سِــيمَةُ القلــوب　　فــانظر إلــى المســجد مــن قريــبِ
وقِــفْ لديــه وَقْفَــةَ اللبيــب　　فــي ظُهْــر يــوم الجمعــة المحبــوبِ
إنـــك فـــي حشـــد هنـــا عجيـــبِ

•••

هـــذا الـــذي يمشـــي ألا تـــراه　　كأنمـــا قـــد حملـــت يـــداهُ
ســـفتجة[٤] صـــاحبها الإلـــه　　ذاك هـــو الـــدَّيْن وقـــد وفـــاهُ
فلـــــيس للـــــدائن بـــــالمطلوب

•••

وذلـــك المبتســـم الرصـــين　　كأنـــــه بسِـــــرِّه ضـــــنينُ
أصـــغى إليـــه ســـامع أمـــين　　فَهْـــو إذا صـــلى كمـــن يكـــونُ
فـــي خَلْـــوَة النجـــوى مـــع الحبيـــب

•••

(٤) السفتجة: هي ورقة التحويل المالي.

وانظر إلى صاحبنا المختال   في حُلَّة ضافية الأذيال
أكان في حضرة ذي الجلال   أم كان في عرض أو احتفال
يُزهى على المحروم والمسلوب

•••

وكم مُصَلٍّ خافِت الدعاء   كأنما نصَّ إلى السماءِ
رسالة في عالم الخفاء   فلا يني يبدو لعين الرائي
كالمترجِّي أوبة المكتوب

•••

ورُبَّ شيخ من ذوي الخَلَاقِ(٥)   فرحان بالجمع وبالتلاقي
كأنه التلميذ في انطلاقِ   بين تلاميذ له رفاقِ
عادوا إليه عودة الغريبِ

•••

تجمعوا في بيته تعالى   وافترقوا في جمعهم أحوالا
وهل نسوا في أرضه النضالا   فيحتويهم بيته أمثالا
على اختلاف السَمْت والنصيبِ

•••

لعلهم صلوا له ارتجالا   فاختلفوا ما بينهم سؤالا
فلو أجاب السائلين حالا   صب على رءوسهم وَبَالا
وألحق المخطئ بالمصيبِ

قطار عابر

نامت القرية وانساب القطار   هو في موعده بين الديار

---

(٥) اخير الوافر.

يعــرف الســاعة لا يخطئهــا هكـذا الجنـة في وقـت المـزار
رُبَّ ســارٍ بــات فــي أركانــه ودَّ لــو يَســبق سـبَّاق البخــار
يحســب الهَــمَّ الــذي هــمَّ بــه دارت الأرض عليــه حيــث دار
ودَّ لــو يســأل هاتيــك القــرى ما لقوم لـم يسـيروا حيـث سـار
وهـو والركـب الـذي مـن حولـه فـي اشـتياق وانطـلاق وانتظـار
عنـد من يُـدلج في تلك القرى صـور منسـية فـي اسـم القطـار
كـل مـا يبقـى لـه مـن ذكـره ضَـجَّة مـن حولهـا ثـار غبـار

•••

فـتش الأسـماء عـن أسـرارها واسأل الأحرف عما في القرار
تجـد «الأرصـاد» حقًّـا مـاثلًا وَهْي في الماضي ضلال وصَغار

صورة الحي في الأُذُن

مثـل الحـي فـي معـالم سـمعٍ كـالتي لا تـزال للعـين تظهـرْ
مـن وراء الجـدار والعين وَسْنَى معرض الحي في سجل مُصَوَّرْ
كـل صـوت يطيـف بالسمع منـه ثابـت فـي «اسـطوانة» تتكـررْ
دارج بعـــد دارج وحـــديث يخفت الهمس فيه حينًا ويجهرْ
ومغـــنٍّ إذا تَغَنَّـــى رويـــدًا قطَّـع الصـوت بالسـلام وصـفَّرْ
وأقاويـــل لســـت تعلـــم منهـــا غيــر أصــدائها التــي لا تغيــرْ
ومنـــادٍ بمـــا يبيـــع وحيـــدٌ خــالَسَ الرفقــة النيــام وبكَّــرْ
وبشــير الــدجاج صــاح فلَبَّــا هـ نظيــر غــلا فصــال فأنــذرْ
ودواليــب خلتهــا وهــي تســعى خرجــت فــي نعاســها تتعثــرْ
حُلَّـــة بعـــد حُلَّـــة تتـــراءى فـي صـداها ومعشـر بعـد معشـرْ
إنـــه منظـــر يفصـــله الـــ ـسَّمع ويا رُبَّ مسمع فيه منظرْ

الدينار في طريقه المرسوم

لمـــا بَـــدَا الـــدينار مـــن | بـــاب الخزانـــة فـــي الســـماء
نـــادى الموكَّـــل ثَـــمَّ بالـــ | أرزاق أيـــن تـــرى الثـــواء؟
قـــال: انطلـــق فـــي الخافقيـــ | ـــن إلـــى فتـــى جـــمٍّ الشـــقاء
قـــد بـــات ممنـــوع الغـــذا | ء وراح مقطـــوع الكســـاء
فاذهـــب إليـــه ومَنِّـــهِ | بعـــض الســـعادة والرجـــاء

•••

فأجابـــه الـــدينار وهـــْ | ـــو يكـــاد يجهـــش بالبكـــاء
أنـــا لســـت أعرفـــه فدعـــ | ـــني أســـتطيب هنـــا البقـــاء
ســـيطول بحثـــي عنـــه فـــي | وادي الخمـــول ولا لقـــاء

•••

قـــال الموكَّـــل ثَـــمَّ بالـــ | أرزاق حســـبك مـــن ريـــاء
لـــن يـــألف المـــال الفقيـــ | ـــرَ ولـــن يحيـــد عـــن الثـــراء
مـــا شـــئت يـــا دينـــار فامـــ | ـــضِ كمـــا تشـــاء لمـــن تشـــاء
فاســـتقبل الـــدينارُ وجـــ | ـــهته وهَـــمَّ بـــلا ونـــاء
ومضـــى إلـــى حيـــث المعـــا | لـــم واضـــحات والضـــياء
حيـــث الـــدنانير الســـوا | بـــق قـــد رســـمن لـــه الفضـــاء
لـــيس الطريـــق علـــى اقتحـــا | م كـــالطريق علـــى اهتـــداء

المَصْرف «البنك»

شِـــبْرَان مـــن ذاك البنـــاء
بينـــي وبـــين المـــال والـــدنيا العريضـــة والثـــراء

ليست بأقصى في الرجاء
من حفرة المدفون في شبرين في جوف العراء
كلا! ولا أدنى على قرب المزار لمن يشاء
أعرفت آماد السماء؟!

•••

في سِكَّتي أبدًا وما
من سكة أبدًا إليه، ولست أُلغز عندما
أصف الطريق أو الحمى
انظر بعينيك البناء سما وطال وأظلما
واسأل: أهذا مصرفٌ ملئوا جوانبه دما؟!
تجد الصواب مجسما

•••

فيه دم لا شك فيه
في كل طِرْس أو كتاب أو سجل يحتويه
ودم المقتر والسفيه
يجري هناك وأنت تحسبه من الورق الرفيه
تغليه كالدم في العروق سرى وكالدم نتقيه
وسَل المُدَلِّس والنزيه!

•••

سَلْنِي فلم أكُ طالبًا
ورقًا هناك على الرفوف أنال منه جانبًا
وأعد منه حاسبًا

إلا لأوراق أراهـــــا قارئًـــــا أو كاتبًـــــا
ولمـا تجـيش بـه الخـواطر حاضـرًا أو غائبًـا
ودع الحســـــــــود الغاضـــــــــبا

كَوَّاء الثياب ليلة الأحد

لا تَــــــنَمْ لا تَــــــنَمْ	إنهـــــــم ســـــــاهرون
ســـــهروا فـــــي الظَّلَـــــم	أو غفـــــوا يحلمـــــون
أنـــــت فـــــيهمُ حكـــــم	وهـــــــمُ ينظـــــرون
فـــــي غـــــد يلبســـــون!	فـــــي غـــــد يمرحـــــون
•••	•••
كـــــم إهـــــاب صـــــقيل	يـــــا لـــــه مـــــن أهـــــاب
وقَـــــــوَام نبيـــــــل	فـــــي انتظـــــار الثيـــــاب
وحبيـــــــب جميـــــــل	يزدهـــــــي بالشـــــباب
كلهـــــــم يحلمـــــون!	فـــــي غـــــد يلبســـــون
•••	•••
أســـــــلَموك الحُلَـــــلَ	كـــــــالربيع الجديـــــــد
فـــــي احمـــــرار الخجـــــل	أو صـــــــفاء النهـــــــود
تُشـــــــتهى بالقُبـــــــل	لا بمـــــــسِّ الحديـــــــد
يـــــا لهـــــا مـــــن فنـــــون	بهجـــــــة للعيـــــــون!
•••	•••
طُويـــــــت كـــــــالعجين	فـــــاطوِ فيهـــــا الجمـــــال
لمســـــــة بـــــــاليمين	عطفـــــــة بالشـــــمال
والعجـــــــين الثَّمـــــــين	فـــــي اســـــتواء «المثـــــال»
فيـــــه ماســـــت غصـــــون	مـــــن جناهـــــا الجنـــــون
•••	•••
زِدْ نصـــــــيب الحبيـــــــب	مـــــن هـــــوى وابتســـــام

بالكســـــاء القشـــــيب   رفَّ حــــــول القــــــوام
لـــــك فـــــيهم نصـــيب   غيـــــر كــــيّ الغــــرام
عنـــــد بـــــرح الشــــجون   هُــــمْ هُــــمُ المكتــــوون
•••
الضـــــــــرام اتَّقَـــــــــد   فـــي المكـــاوي الشـــداد
هـــــل خبـــــا أو بـــــرد   أو عـــــلاه الرمـــــاد؟
ذاك يـــــــوم الأحـــــــد   أيـــــن منـــــك الرقـــــاد؟!
إن قضـــــيت الــــديون   كـــــل نــــار تهــــون
•••
أنـــــا مُصْـــــغ إليـــــك   فـــي الظـــلام الطويـــل
ســـامع مـــن يـــديك   كـــل ضـــرب ثقيـــل
نـــــاظر موقـــــديك   منـــذ غـــاب الأصـــيل
بـــين غمـــض الجفـــون   واطِّـــراد الســـكون
•••
يـــــا أخـــــا الفـــــن لا   تَـــــدْعُها بالثيـــــاب
وارقَ منهـــــا إلـــــى   مـــا احتـــوت مـــن شـــباب
وجمـــــالٍ حـــــلا   وحيـــــاة عجـــــاب
وتفلســـــف علـــــى   مـــا احتـــوت مـــن رقـــون[٦]
تَحْـــيَ بـــين الألـــى   خلفهـــا يختفـــون
تلقهـــم يهمســـون   وهـــمُ صـــامتون
والليـــالي تهـــون   والكَـــرَى والمنـــون

بابل الساعة الثامنة

في بعض الأحياء يمنع الشرطة نداء الباعة قبل الساعة الثامنة؛

[٦] الترقين: التزيين، والرقون: الخضاب.

فيجتمع الباعة عند مداخل تلك الأحياء صامتين متأهبين، حتى إذا وافت الساعة المحدودة، اندفعوا دفعة واحدة ينادون على السلع، كلٌّ وما يبيع، وهي خليط لا تأتلف أصداؤه ولا أشياؤه، فهي بابل لأمراء!

قابل بين بابل هذه وبابل الفجر الذي تختلط فيه أصداء الطبيعة مثل هذا الاختلاط، ولكنها تنسجم في معناها المبشر باستئناف الحياة وعودة النور، وأن هذه المقابلات جميعًا لَحقيقة في الشعر ببعض الإصغاء:

كم بابل في الساعة الثامنةْ ... تثور في حلتنا الساكنةْ!
خفية الأصداء لا تنجلي ... ولم تكن عجماء أو واهنةْ
شَتَّى فإن أفردتها لم تكد ... تبين منها لفظة بائنةْ
كأنما تصغي إلى راطنٍ ... يُتَعْتِعُ الأحرف أو راطنةْ
فلفظة ينطقها دونها ... عشرون في حلقومه قاطنةْ
واسم يليه اسم وما جَمَّعتْ ... قرينة بينهما قارنةْ
إن بعدت عن سامع أو دنت ... لم تُدْنِها أوصافها المائنةْ
البرتقال الحلو والفحم والـ ... أطباق والريحانة الفاتنةْ
والبيض والأثواب والتبغ والـ ... أخشاب والزينة الزائنةْ
وأشربات العصر في حينها ... مثلوجة إن شئت أو ساخنةْ
والناي والأرغن تتلوهما ... ربابة كالهِّرَةِ الداجنةْ
ومَنْ يُناديها ويدعو بها ... إليه في زوبعة زابنةْ (٧)
مخلوطة ممزوجة كلها ... معجونة في لفظها عاجنةْ

(٧) دافعة.

فـي بابـل الباعـة تلـك التـي … نسمعها لا بابـل الحائنـةْ
يحبسها الشـرطي حتـى إذا … حانـت لديـه السـاعة الثامنـةْ
أطلقها فانطلقت فجـأة … علـى الحمـى كالغـارة الكامنـةْ
تجـدُّ أقصـى الجـد لكنهـا … فـي السـمع كالمجنونـة الماجنـةْ

•••

إذا تمـادى النـوم بـي ضـحوة … أو أرَّقتنـي خطـرة رائنـةْ
أيقظنـي مـن بـابلي هـذه … نفيـر حـرب فـي القـرى الآمنـةْ

•••

يـا بعـدها عـن بابـل فـي الـدجى … أسمعها شـادية لاحنـةْ
أسـمع عـرس الفجـر فـي دَوْحَـة … ملتفـة أغصـانها شـاجنةْ
وكـل ذي سـمع سـليمانها … إن غـردت أطيارهـا الواكنـةْ
شَـتَّى وفَحْـوَى قولهـا واحـدٌ … لكـل أذن نحوهـا آذنـةْ(٨)
بُشْـرَى لنـا بُشْـرَى لآفاقنـا … عـادت إلينـا شمسـنا الظاعنـةْ!

•••

يـا بابـل البشـرى أغيثـي الكَـرَى … مـن بابـل الملعونـة اللاعنـةْ
هَبِيـه أنـت اليقظـات التـي … تُشْـبِه أحـلام الـدُّجَى الحاضـنةْ
لا تُسـلميه لـوغى بابـل … مغبونـة فـي سـعيها غابنـةْ
مـن صـرخة الحاجـة أصـداؤها … ومـن لجـاج المهنـة الماهنـةْ
لا بائعًـا صـانت ولا شـاريًا … كانـت لـه عـن حاجـة ضـائنةْ

•••

يا بابـل البُشْرَى اسْلَمِي واغنمي … وجنبينـا الذلـة الشـائنةْ

---

(٨) أذن له وإليه: استمع.

وددْتُ لــــوَ انَّ بنـــي آدم تعلمــوا حكمتــك الباطنــةْ
مـا احتجـتُ قـط إلـى كـاهن يــوحي بمعناهــا ولا كاهنــةْ

وليمة المَأتَم

أعــدوا الموائــد واســتقبلوا ولــم يــرَ صــاحبه المنــزلُ
فــأين عــريس بــه يحفلــون وأيــن عــريس بهــم يَحفــلُ؟
طــواه الرَّغَــام وغطــى عليــه صــفيح المَفَــاوِز والجنــدلُ
ومـا حفـل البيـت مـن يـأكلو ن لــولا فَــم بــات لا يأكــلُ

•••

ومـن قبـل ذاك أعـدوا الطعـام وفـي الـنفس هَـمٌّ لهـا مثقـلُ
إذا مـا تنـاجوا فصـوت خفـيض وإن عملــوا ففَــم مقفــلُ
ولا مــن يُغنِّــي كمــا يفعلــون إذا أولــم القــوم أو أفضــلوا
ومـا حمـد الطفـل تلـك الوفـود إذا أبطــأ القــوم أو عَجَّلُــوا
فمــا مــنهمُ مــازحٌ باســمٌ ومــا مــنهمُ لاعــب مقبــلُ
ولا للمضـــيفين زاد هنـــا ك إلا وأَطْيَبُــــه حَنْظَــــلُ
ومــا بــين ذلــك إلَّا النَشِــيج ودمــع علــى خِلْسَــة مرســلُ
ثقيـل علـى الحـزن أكـل الطعـام ومَــنْ يَشْــتَهِي أكلــه أثقــلُ
فيــا أيهــا النــاس! لا تُولِمُــوا علـى مَيِّـتٍ واحزنـوا واعقلـوا!
فليســت مجاملــة الــراحلين إذا انقطــع الــزاد أن تــأكلوا

عند تمثال

وقــف الطفــل وقفــة التفكيــر عنــد تمثــال عــالم مشــهور
ســائلًا أمــه وقــد هَالَــه مــا هـال مـن ذلـك الجمـاد الجهيـر

فأجابتـــه ذاك طفـــلٌ كبيـــر أتقـن الـدرس فـي كبـار الأمـور
قـد أتـوه بهـذه اللعبـة الكبـ ـرى تُسَـلِّيه فـي ظـلام القبـور
أفترضـــي مثالـــه؟ قـــال لا يـــا أم إنـــي أراه غيـــر جـــدير
لا أرى فيــه مَسْــحَةً مــن جمــال تتجلــى أو نفحــة مــن ســرور

سلع الدكاكين في يوم البطالة

بشيء من التخيل يستطيع الإنسان أن يسمع سلع الدكاكين في أيام البطالة تشكو الحبس والركود، وتود أن تبرز لتُعرض على الناس وتُباع، ولا تُفضِّل الراحة والأمان على ما يصيبها من البِلَى والتمزيق بعد انتقالها إلى الشراة، كما أن الجنين في عالم الغيب لا يفضل أمان الغيب على مضانك الحياة وآلامها، ولذلك تظهر الأجنة ألوفًا بعد ألوف إلى هذا المعترك الأليم:

تركوهـــــــــــــــــــــــــــــــا
مقفـــــــــــــــــــــــــــــرات
مُغلقَــــــــــــات مُحكمَـــــــــــــات
كــل أبــواب الــدكاكين علــى كــل الجهــات
أهملوهـــــــــــــــــــــــــــــا
يـــــــــــوم عيـــــــــــد عيـــــــــدوه
ومضـــــــــوا فـــــــــي الخلـــــــــوات

•••

«البـــــــــــــــــــــــــــــدار!»
«مــــا لنــــا اليــــوم قــــرار!»

أي صـــــوت ذاك يـــــدعو النـــــا

س مــــــن خلــــــف الجـــــدار

أدركوهـــــــــــــــــــــــــــا

أطلقوهـــــــــــــــــــــــــــا

ذاك صــــــوت الســــلع المحبـــــو

س فـــــــي الظلمـــــــة ثــــــار

فـــــــــــــي الرفـــــــــــوف

تحـــــــت أطبـــــــاق الســــــقوف

المَـــــــــدَى طــــــــال بنــــــا

بــــــين قعـــــــود ووقـــــــوف

أطلقونـــــــــــــــــــــــــــا

أرســـــــــــــــــــــــلونا

بــــــين أشــــــتات مــــــن الشــــــارين

نســــــــــــعى ونطـــــــــــوف

•••

ســـــــــــوف نَبْلَـــــــــــى

يـــــــــوم أن نُبــــــــذل بـــــــذلا

أي نعم، لـم نَسْـهُ عـن ذاك ولـم نجهلـه جهـلا

غيــــــــــــــر أنَّـــــــــــــا

قــــــــــــد ودنـــــــــــــا

أن نـرى العيـش وإن لـم يـكُ وِرْدُ العيـش سـهلا

•••

كـــــــــــــــــــــــــــــــالجَنِين

وهـــــو فــــــي الغيــــــب ســـــجين

إن تحــــــــــــذره أذى الــــــــــــد

نيـــــــا وآفـــــــات الســـــــنين

قـــــــــــال هيـــــــــــــــا

حيـــــــــــــث أحيـــــــــــــا

ذاك خيــر مــن أمــان الغيــب والغيــب أمــين

•••

أطلقونــــــــــــــــــــــــــــــــــــا

وإلــــــــى الــــــــدنيا خــــــــذونا

حيــث نلقــي الآكلــين الشــاربين اللابســينا

ذاك خيـــــــــــــــــــــــــــــــــــر

وهــــــــــــــــو ضَــــــــــــــيْر

مــن رفــوف مُظلِمَــات يــوم عيــد تحتوينــا

المنازل في الصيف والشتاء

يـــا حُسْــنَ ذاك المنـــزِلِ / كالضــــاحك المتهلــــلِ

يَــــروي الظــــلام بمنهــــل / مـــن نـــوره كالجـــدولِ

مُتَكَشِّـــفًا عـــن ســـره / عريــــان للمتطفــــلِ

الصــيف عَلَّمــه الطـــلا / قـــة كالشـــباب المُقْبِـــلِ

فكأنــــه بعـــض الفضـــا / ء الواســـع المسترســـلِ

لـــم ينفصـــل عنـــه ولـــم / يُحجَـــب بسِـــتْرٍ مُسْـــبَلِ

مُـــوفٍ علـــى آفاقـــه / وعلــى الكواكــب مــن عــلِ

ســـاري الطريـــق أمامـــه / عرضًـــا، كـــرب المنـــزلِ

والمســـــتقر بــــه شبيـــــ ـــــه العـــابر المُتَنَقِّـــــلِ
هــــــذا وذاك كلاهمـــــا فـــي ســـاحة لــم تُقْفَـــلِ
●●●
عَـــرِّجْ عليـــه هنـــاك فـــي ليـــــل الشـــتاء الألْيَــــلِ
يلقـــى المطيـــف كأنـــه وجـــه المُشِــيح المُجْفِـــلِ
حَـــذَرًا علـــى أســـراره مُتكتِّمًـــــا لا ينجلـــــي
هَرِمًـــا يخـــاف ويتقـــي طَــــيْشَ الشـــباب الأولِ
صـــد الفضـــاء كأنـــه مـــن دونـــه فـــي معقـــلِ
وجفـــا المنـــازل حولـــه فكأنـــه فـــي معـــزلِ
●●●
خَـــفَّ الربيـــع بـــه وأثـــ ـــقله الشـــتاء بجنـــدلِ
وأدار حوليـــــه نِطَـــــا قـــا مـــن قضـــاء مُنـــزَلِ
فكـــــأن عـــــابره إذا أمســـى طَرِيـــدَةَ هيكـــلِ
متفلتًـــا مـــن طارديـــ ـــه مُحـــاذِرًا ممـــن يلـــي
●●●
مـــا فـــي الشـــتاء رفاهـــة للعـــــابر المُتأمِّـــــلِ
إلا تخيُّـــــل موئـــــلِ خلـــف الشـــعاع المرســـلِ
فيـــه ســـعادة مُسْـــتَهَا م أو هنـــاءة مصـــطلي

الطريق في الصباح

بـــدأت دولـــة الطريـــق وانتهـــت دولـــة البيـــوت
ضـــاق بالكوكـــب المُفِيـــق عـــالم الليـــل والســـكوت
●●●
حيـــثُ يممـــت مســـرعٌ يتلقـــــاه مســــــرعون
مـــا لهـــم؟ أيـــن أزمعـــوا؟ ويحهـــم مـــمَّ يهربـــون؟
●●●

كلمـــا غـــاب مُجْفِـــل طلـــع اثنـــان فـــي هجـــوم
ذاك ركــــب مضـــلل حـــائر حيثمـــا يحـــوم

•••

حـــائر حيـــرة الأُلَـــى سُـــحروا ثـــم أُطلقـــوا
وضـــح الصـــبح وانجلـــى فهـــو بالســـحر أخلـــق

•••

لا أرى فــــرد ســـاحر فيـــك يـــا صـــبح بـــل ألـــوف
كــــم أســـير وآســـر والرُّقـــى بيـــنهم صـــنوف[٩]

•••

ذلـــك الطفـــل مـــا عَنَـــاه؟ جـــدول الضـــرب فـــي كتـــاب!
ذلـــك الشـــيخ مـــا مُنَـــاه؟ لقمـــــة كلهـــا عـــذاب

•••

والفتـــى أيـــن قِبلـــةٌ نحوهـــا يُرِســـل العنـــان؟
غايـــة الأمـــر قُبلـــة بعـــدها يمســـح الـــدهان

•••

خـــذهم أيهـــا الطريـــقْ فـــي غـــداة مـــن الصـــباح
لا تضـــلنَّ بـــالرفيقْ إن دنـــت ســـاعة الـــرواح

•••

إن دنـــت ســـاعة السُّـــبات ويـــك! لا تخطـــئ الوكـــور
كـــم وكـــور منـــاظرات للبيـــوت اســـمها القبـــور!

معرض البيت

هـــو بيـــت قـــد حـــواهم مســـكنا ونَـــأُوا فيـــه كنَـــأْي الشـــهبِ
لـــو عرضـــنا صـــور الـــدنيا هنـــا لرأينـــا كـــل معنـــى عجـــبِ

•••

---

(٩) جمع رقية، وهي طلسم السحر وما يُسْتَعَان به من القوى الخفية.

فيه طفل وفتى غض الإهاب عند كَهْل، عند شيخ جاثمِ
فيه غيد لم يجاوزن الشباب وفتاة في الشباب الباسمِ
ذلك البيت على ضيق الجناب معرض الدنيا، وفحوى العالمِ
كل ما همَّ ابن أنثى أو عَنَى بنت أنثى – ها هنا لم يعزبِ
كل حي فيه دنيا بل دُنَى جُمعِتْ أشتاتها في موكبِ

•••

موكبٌ لم يرتحل من موطن وإليه وحده شدُّ الرحال
فيه دنيا صُنِعَتْ من لبن عند دنيا من خزانات ومال
عند دنيا صُنعتْ من أعين وقلوب، ولهيب، وجمال
عند دنيا لم نجدها بيننا لم نجدها من وراء الكتبِ
عرضتْها الدارُ أشتاتًا لنا فالتقت موصولة في سببِ

•••

رُبَّ دنيا صنعوها لعبا جَاورتْ دنيا دواء وسقم
وصبيٍّ جد أو طفل حبا جاورا نضو مشيب وهِرَم
ورفيقين هناك اصطحبا وهما قُطْبَا خصال وشيم
فرجة فيها لمَنْ شاء الغِنَى غير ما عان ولا مغتربِ
ما نأى في الدهر شيء أو دنا بعد هذا المورد المقتربِ

•••

طالب المسرح من خلف الحجاب أنت في «المسرح» صبحًا ومساءَ
يخلق البيت من الدنيا العجاب صورًا شتى وأنماطًا ولاءَ[١٠]
وترى فيه وإن ضاق الجناب أوجهًا مختلفات تتراءى
أين وجه يملأ العين سَنَى من وجوه كانطباق الغَيْهَبِ
فتأمل ها هنا أو ها هنا ترع ما شئت بمَرْعَى مُخْصِبِ

•••

(١٠) متوالية.

أي مــرأى لــو تجلــى للعيــون فــي ضــياء كضــياء السـيمياء!
كلمــا بــاح جــدود وبنــون بِـــرُؤاهُ، ورجـــال ونســـاء
لــم يكــن قــط وهيهــات يكــون منظــر أجــدر منــه بالضــياء
إن تَــأَبَّ أن تــراه بيِّنًــا فالتمســه «بالخيــال» المغــرب
إنمــا الأعــين كانــت أعينًــا بسَــنَى مــن نــور ذاك الكوكــب

بُعيدَ الغروب

ضجيج الصـغار إذا مـا خلـت نـواحي الـديار مــن الوالــدِ
صـياح العصــافير فــي دَوْحَـة خَلَـتْ مـن عُقَـابٍ ومـن صـائدِ
وأَطْـرَبُ مـن غابـة فـي الصـبا ح مــن مُنْشِــدٍ ثَــمَّ أو ناشــدِ
تَنَــادِي الصِّــغَار بُعَيْــدَ الغـرو ب مــن كـل مجتمـع حاشـدِ
إلـى لحظـة ثـم تلقـى الجمـو ع مــا بــين نَعْسَــان أو راقــدِ

فتنة الصور المتحركة

إلـى أيـن تَهْـرَع هَـذِي الفتـاة وهـذا الفتـى أيـن يبغـي المفـر؟
سِــرَاعًا إلــى الصــور الناطقــا ت تحكي الغرام وتحكي الخطر
لقــد أصــبحوا صــورًا مثلهــا فــلا عجــب يعشــقون الصــور
هـم النـاس لـم يبـقَ إلا صـدى تَفَشَّــى وإلا طِــلَاء ظهــر

على سفح الهرم

طلـع البـدر علـى سـفح الهـرمْ شــبح ذلــك أم ظــل جــثم
لا تــراه حينمــا تلمحــه مــن بعيــد غيــر ظــل وقــدَم
لـو تفشَّـى النـور أو رقَّ الـدجى لتــولَّى خشــية، أو لانهــدم

متسول

هـم النـاس ضـيفٌ لهـذي الحيـا ... ة وذلــك ضــيف لهــم مبــرمُ
ففــي كــل بيــت لــه لقمــة ... وفــي كــل جيــب لــه درهــمُ
وفــي كــل أرض لــه معقــل ... ومَـنْ لا يخـف فهـو مستعصـمُ

•••

ذليـــل مَهِــين بمــا يَغــنم ... ذليــل مهــين بمــا يُحــرمُ
ولــيس أذل مــن المصلحيــ ... ــن إذا أصلحوا النـاس أو علمـوا
ولــيس بــأهونَ مــن دعــوة ... يضــيق بهــا الســذج النُــوَّمُ

•••

ألا أيهــا الســائل المعــدم ... قســمت فحسـبك مـا تقسـمُ
حقـرتَ الحيـاة كمـا حقَرتْـكَ ... فمــا منكمــا أحــد يظلــمُ
تحاسـبتما فتسـاوى الحسـاب ... فــلا مــن يُغــالط أو ينــدمُ
ومـا هكـذا النـابغ العبقـري ... ولا هكــذا الآثــم المجــرمُ

أناشيد وأغاني

النشيد القومي

قـــد رفعنـــا العلـــم   للعُـــلا والفِـــدَى
فـــي ضـــمان الســـماء
حـــي أرض الهـــرم   حـــي مهـــد الهـــدى
حـــي أم البقـــاء

•••

كـــم بَنَـــتْ للبنـــين   مصـــر أم البُنَـــاة
مـــن عريـــق الجـــدود
أمـــة الخالـــدين   مَـــنْ يَهَبْهَـــا الحيـــاة
وهبتـــه الخلـــود

•••

تحـــت أصـــفى ســـماء   فـــوق أغنـــى صـــعيد
شـــعب مصـــر مقـــيم
قـــد حـــوى مـــا يشـــاء   مـــن زمـــان مجيـــد
ومكـــان كـــريم
نيلنـــا خيـــر مـــاء   كـــوثر مـــن نعـــيم
فـــاض بالسلســـبيل
فـــي العـــروق الـــدماء   شـــعلة مـــن حمـــيم
للعـــدو الـــدخيل

•••

إن يكـــــــن أمســـــــنا فـــــي حمــــى الأولــــين
فلْـــــــــــنَعِشْ للغـــــــــــدِ
لا تـــــــرى شمســـــــنا غيـــــر فـــــتح مبـــــين
مـــــــا يـــــــدم يـــــــزددِ
•••
فارخصــــي يــــا نفـــوس كـــــل غـــــالٍ يهـــــون
كــــــل شــــــيء حســــــن
إن رفعنــــــا الـــــرءوس فلـــــيكن مـــــا يكـــــون
ولــــــتعش يــــــا وطـــــن

شكر المحتفلين بالنشيد القومي

أُلْقِيَتْ هذه القصيدة في الاحتفال الذي أُقِيمَ تكريمًا للنشيد القومي:

بـالنَّظْمِ أَحْمَـدُ مُكْرِمـي نظمـي ومــن الســلاف تحيــة الكــرمِ
هــذا النشــيد، ففــيم يشــكرني قــومي، وقــد غَنَّــى بــه قــومي
أن تقبلـــوه، وتلـــك مفخـــرة عظمــى، فقــد وفيــتُمُ ســهمي
قــد كــان لــي، غــدا لكــم قِسْـمًا، فحسـبي ذاك فـي قسـمِ
مــن تقبــل الأوطــان قُرْبَتــه جــادت عليــه بمغــنم ضــخمِ
••• •••
أبنـــاء مصـــر وأمكـــم أمـــي يــوم الفخــار، وهَمُّكــم هَمِّــي
أنـي نظمـت لهـا الـدعاء، وبـي منهــا شــكاة الــروح والجســمِ

شـــوق إلـــى حريتـــي طلـــقٌ ... ويـدان بعـدُ مهيضـتا عظـمٍ [1]

لي في السماء هوى ويمسكني ... غـــل يصـــافحني علـــى رغـــمِ

فلـئن رســمتُ لمصــر طالعهــا ... فلقـد وصـلتْ بنجمهـا نجمـي

ولــئن وصـــفتُ لهـــا سَــرِيرَتَها ... فمـــن الضـــمير مصـــادر العلـــمِ

•••

أبنـــاء مصـــر علـــى هـــدايتكم ... إن النجـــاح لكـــم مـــن الخـــتمِ

إن تهتفـــوا بنشـــيدكم كلمًـــا ... فـــدعوا القلـــوب تُجيـــب بـــالعزمِ

عُقْبَـى الطريـق لمـن إذا بـدءوا ... عرفـــوا لأيَّـــة غايـــة ترمـــي

هـــذا الـــورود دنـــا فـــلا تَهِنُـــوا ... إنـــي أراه علـــى مـــدى ســـهمِ

نشيد، على مُقْتَضَى الحال

كانت وزارة المعارف قد وَلِعَتْ «بمكايدة» صاحب هذا الديوان على طريقتها المعهودة في ذلك الحين، فأعلنت عن مسابقة للأناشيد القومية، وهي تعلم أن صاحب الديوان لن يدخل فيها، فكان جوابه أن عرض النشيد التالي ليستحق به الجائزة عندها:

إلــى الــوراء إلــى الــوراء إلــى الــوراء

إلـــــى الـــــوراء كـــــل يـــــو ... م فـــــي الصـــــباح والمســـــاء

إلـــــــى كرومـــــــــر الحنـــــــــون

ومكمهـــــــــون، ولمبســـــــــون

([1]) نظم النشيد وصاحبه مصاب في كلتا يديه في حادث اصطدام، والأمة المصرية محكومة حكمًا لا ترضاه.

وسمبســـــون،[٢] وكـــــل جـــــون

إلـــى الــــوراء بـــــالقلوب إلـــى الـــوراء بــــالعيون

إلـى الـوراء إلـى الـوراء إلـى الـوراء

•••

وفــــــي ركــــــاب المستشـــــار

يمشـــــي الكبـــــار والصــــغار

والزارعـــــــــون والتجـــــــــار

والشاخصـــون فـــي انتظـــار علـــى اليمـــين واليســـار

إلـى الـوراء إلـى الـوراء إلـى الـوراء

•••

لهـــــم إذا شـــــاءوا العطـــــاء

ومــــا لنــــا مــــنهم جــــزاء

إن يطلبـــــوا منـــــا الـــــرداء

نُعْــــــطِ الطعــــام والشــــرا

إلـى الـوراء إلـى الـوراء إلـى الـوراء

•••

إلــــى الــــوراء لا الأمــــام

إلــــى الــــوراء بــــاحترام

علـــى الـــدوام، وفـــي الختـــام

وكـــــل يـــــوم بانتظــــام وكـــــل عـــام، والســـلام

إلــــى الـــوراء إلـــى الـــوراء إلـــى الـــوراء

(٢) كرومر ومكماهون ولمبسون معتمدون بريطانيون في مصر، وسمبسون موظف كبير في وزارة المعارف العمومية.

أغاني

هذه الأغاني نُظِمَتْ لتُنْشدها الآنسة «نادرة» في رواية من روايات الصور المتحركة حسب المواقف التي تعرض لأبطالها، وهذه الأغنية التالية تُنْشَد في زَوْرَق يجري على النيل عند القناطر الخيرية تحت أشجار الصفصاف التي تُطِلُّ على الشاطئ وفي الزورق المحبان يتناجيان، والحبيبة تنشد:

فـــي الهَـــوَى قلبـــي زَوْرَقٌ يجـــــــــــري
أيـــن يمضـــي بـــي نهــــــره الخمــــري
ليتنـــــــــي أدري

•••

لَيْتَــــه يجــــري يــــا أبــــا الأنهــــارِ!
مثلمــــا تســـري فــــي حمـــى الأقــــدارِ
حولـــك الأزهـــار

•••

حولـــك الصفصـــاف مســـبل الشــــعرِ
نـــاعس الأطيـــاف ســـابح الفكـــــرِ
فـــي الهـــوى الســـحري

•••

يـــا ريـــاض النيـــل عَلِّمِـــي قلبـــي
فرحـــة التهليـــل عشـــت للحـــبِّ
يـــا مُنَـــى الصَـــبِّ

•••

قــــال لـــي قلبـــي والهَـــوَى يرعـــاهُ
هـــو فـــي قُرْبِـــي مـــا الـــذي أخشـــاهُ
عنـــدما ألقـــاهُ

أمسية على النيل

وهذه الأغنية تُنْشَد على شاطئ النيل بعد الغروب:

يـــا حبيبـــي أنـــت رِيٌّ ... لـــيس فـــي المـــاء نظيـــرهُ
يـــا حبيبـــي أنـــت ظـــل ... لـــيس للـــروض عبيـــرهُ

•••

يـــا حبيبـــي أنـــت بـــدرٌ ... أيـــن نـــور البـــدر منـــه؟
أيـــن نـــور زانـــه الحبـــْ ... ـــبُ ونـــور لـــم يزنـــه؟

•••

أنـــت عنـــدي كـــل شـــيء! ... كـــل مـــا شـــئت يكـــون
قـــل لهـــذا الليـــل يبقـــى ... ومـــع الليـــل الســـكون

•••

قـــل لـــه فهـــو نجـــيٌّ ... مُرْهِـــف الســـمع إلينـــا
كيـــف يعصـــي لـــك أمـــرًا؟! ... والهَـــوَى طـــوع يـــدينا

الزوجة المهجورة يوم ميلادها

وهذه الأغنية تنشدها الزوجة التي هجرها زوجها يوم ميلادها، ولم يرضَ أن يُلازمها في المنزل؛ ليُشاركها في الاحتفاء بهذا اليوم:

مولـــدي يـــوم شـــقائي ... مـــات فـــي المهـــد رجـــائي
لـــيس فـــي قلبـــي عـــزاءٌ ... أيـــن فـــي الـــدنيا عزائـــي!
أحســـب البـــدر ظلامًـــا ... وهـــو مصـــباح الســـماءِ
لَاحَ فـــي الأفـــق وحيـــدًا ... ومـــن الوحـــدة دائـــي
كـــم أَرَانِـــي النـــور حزنًـــا ... كـــان فـــي طـــيِّ الخفـــاءِ

إغواء

وهذه الأغنية تُنشدها بطلة الرواية على مسمع من صاحبها؛ لتوحي إليه أنه هو المقصود بحبها وغنائها، وقد كان يجهل ذلك:

هــــل دَرَى مـــن أحبــــه   أيــن فــي الحــب مطمعــي؟
هــــل معــــي الآن قلبــــه   مثلمــــا ســــمعه معــــي؟!

•••

هــــــل أراه بنــــــاظري   أم أرى الطيــــف الرجــــاء
ربمـــــا بــــات زائـــــري   وهـــو فـــي البعــد كالســماء
ليتـــه يكشـــف الضـــمير!   ليتنـــي بـــالهوى أبـــوح!
فاكشــفْ الــروض يــا عبيــر   إن عطـــر الهـــوى يَفـــوح
شِـــرْعَة القلـــب شـــرعتيظ   مـــا احتيـــاجي إلـــى شـــفيع
إن تَسَــــلْنِي فحُجَّتِـــــي   فـــي يـــدي زهـــرة الربيـــع

في ساعة انتظار

يـا سـاعة الصـفو! غِبْـتِ عنـي   وحيَّـــرتْ لـــوعتي خطـــاكِ
تائهـــة أنـــت فـــي طريقـــي   هـــداكِ نـــور الهـــوى هـــداكِ

•••

أبطــأت يــا ســاعة التمنــي   وموعـــد الملتقـــى قريـــب
هــل يُبطــئ البَــيْن لــو سـعى   لـي كمـا سـعى موعـد الحبيـب

•••

أصــبحتُ فــي لهفتــي عليــه   أنتظـــر الليـــل بالنهـــار
طـــال انتظـــاري لـــه فمـــاذا   فـي الغيـب يـا ليـل بانتظـاري؟!

قوميات

يوم الجهاد ذكرى ١٣ نوفمبر في سنة ١٩٣٥

أجل هو يوم الفدى والذمم
ويوم الجهاد ويوم القَسَمْ

ويوم الذين دعوا أمة
ونادوا بدعوتها في الأمَمْ

ويومٌ له غده المُرْتَجَى
ويوم له سره في القِدَمْ

هنا حرم في جوار الزمان
فحيوا الزمان وحيوا الحرمْ

هنا فليقم عهده من أقام
ويعزمْ على أمره من عزمْ

ويستقبل الهول من راضه
ويرتد من خافه فانهزمْ

تعز الصفوف بنبذ الجبان
كعزتها بشجاع هجمْ

وتُحمى الحقوق بدفع الضعيف
كدفعك عن حوضها من ظلمْ

فليستْ تُصان الحقوق التي
حمى جانبيها ضعاف الهممْ

وهيهات تعلو لنا شوكة
بشكوى الذليل ونجوى السأمْ

إذا كرمت أمة لم تكن
كرامتها من هبات الكرمْ

إذا استرحمتْ أمة خصْمَها
فلا رحمتها عوادي النقمْ

•••

أفيقوا أفيقوا حماةَ الديار!
حماة الديار ببأس الرمم!

أتسمعكم «لندن» يا تُرَى
على النَّأْي أم لم تزل في صَمَم؟!

أيشفق هاجركم يا ترى
هنالك أم قد جفا واعتصم

أيُطمعكم منه ذاك الدلال
أَمْ حَسَمَ الشَّكُ فيما حسم

إذا لم يكن صوتكم بالغًا
إليه فما قولكم في النغم؟!

عليكم بقيثارة حلوة
وناي وعود وزيز وبم

وبثوا له لوعة أو ضنى ... وشقوة حال ونجوى ندم
فقد ينثني في غد راضيًا ... إذا صُدَّ في أمسه أو صدم
وقد ينثني طيفه في الكَرَى ... وطاب الكرى عندكم والظلمْ
ويا ويلكم بعدها إن جفا ... وعاف المقام بأرض الهرمْ
فكيف تُطيقون منه الجلاء ... إذا ما انجلى بعدها وانصرمْ!

•••

أفيقوا أفيقوا دعاة الديار ... دعاة الديار وفيكم بَكَمْ
وأوصوا الرفاق بصمت طويل ... وصبر جميل وهزل عمم
وقولوا لهم مثلنا فاصنعوا ... إذا نابكم نائب أو دهم
ومَنْ جَدَّ من أمره بينكم ... فذاك هو الخائن المتهم
فإن الأمانة في شرعنا ... ولائم تُغشى ولهْوٌ يُؤم
وإن الخيانة فتح العيون ... وفتح العيون عدو النعم
كفى لعبًا أيها الهازلون! ... فقد ملأ الخطب مصرًا وَطَم
لقد أسأمتْكم كبارُ الأمور ... لقد أسأمتنا صغارُ اللمم
وقد أسأمتنا رعاة تُسَاقُ ... فأين الرعاة وأين الغنم؟
أأصنام باغين تبغونها ... وأنتم تذلون ذل الخدم؟!
أأطلب حرية للعبيد ... وألقي بحريتي عن رَغَم؟!
فماذا أقول لهذا الجبين؟! ... وما عابه عائب أو وَصَم
وماذا أقول لهذي اليمين ... وإني بها قد صنعت الصنم؟!
معاذ الفتوة إني لكم ... على رصد ساهر لم ينم
هو الحق ما دام قلبي معي ... وما دام في اليد هذا القلم
بني مصر طوفوا بهذا الحرم ... بيوم الفخار ويوم الألم

يســـــر ويُـــــؤلم تـــــذكاره وفـي الغـد مـن حالتيـه الحكـم

بــدأنا بســعد وغــاب الإمــام فمــن شـاء فليحســن المختـتم

إذا نحــن ســرنا علــى نهجنــا فـلا ضـير فـي أن تـزل القـدم

حــذارِ القعــود مــع القاعــدين وســر فــالطريقُ ســويٌّ أمــم

فِـــدًى للـــبلاد وأعوانهـــا على النصـر مـن خانهـا وانهـزم

ومــن هونــوا الأمــر حتــى غــدا أجيــر الهتــاف دعــيَّ العِظَــم

وحتــى غــدت كــل تصــفيقة تبـوّئ فـي المجـد أعلـى القمـم

ومــا المجــد صــفقًا ولا صــفقة ولكنـــــه معقـــــل يقـــــتحم

فــلا تركبــوا الســهل واستصــعبوا فللسَّــهل أصــعب هــول نجـم

تضـــيع الـــبلاد بـــه ســـهلة فمــن رامهــا عاديًــا لــم يلــم

•••

بنــي مصــر! صــونوا لهــا حقهــا كبــار النفــوس كبــار الشــيم

وحيــث تلاحــق مــوج البحــار علــى جــانبي شــطها والــتطم

وحيــث تــلألأ ضــوء الشــموس وأســفر عــن صــحوها وابتســم

فـــلا تتركـــوا ذرة مـــن ثـــرًى لبــاغٍ ولا قطــرة مــن خضــم

ولا لمحـــة مـــن شـــعاع ســـرى ولا نفحـــة مـــن نســـيم نســـم

لكــم وحــدكم مــا ضــننتم بــه ومـــا يُســـتباح ومـــا يُغتـــنم

فمـــا تبـــذلون فـــذاك الكـــرم ومـــا تمنعـــون فنـــار ودم

علـى العهـد فليقتـرب مـن رعـى ذمامًـــا وفليبتعـــد مـــن وجـــم

وهـــذي الكنانـــة مـــن رَامَهَـــا بســوء وَهَــى ظهــره وانقصــم

وأنـــتم لهـــا ســـيفها المنتضـــى وأنـــتم لهـــا عزمهـــا المعتـــزم

فقولـــوا يـــردَّ لهـــا مجـــدها يـــرد ومـــا تـــم بـــالعزم تـــم

عيد بنك مصر

أُلْقِيَتْ في الاحتفال بمُضِي خمس عشرة سنة على إنشاء بنك مصر:

بلغــــتَ الشــــباب فعِـــشْ وازْدَدِ ... وأوحِ التهـــــانئ للمنشــــــدِ
نمـا بـك جَـدُّك فـي المعجـزات ... فيـا لـك مـن معجـز مفـردِ!
أفــي الســن كاليــافع المرتجــى ... وفــي المجــد كــالهرم المخلــدِ؟
ومـا هـرم الصـخر فـي مجـده ... نظيـرك يـا هـرم العسـجدِ
ومــا بنيــةٌ حــرةٌ فــي الرضــى ... تقــام كبنيــة مســتعبدِ
بنـو مصـر! فـي كـل عهـد لهـم ... بنـاء علـى سُـنَّة الموعـدِ
فحينًـا معابـد فـوق الـذُرَى ... وحينًـا مصـارف كالمعبـدِ
بهـذا وهـذا نجـاري الزمـان ... ونسـبق فـي شـوطه الأبعـدِ
ونـدرك فـي يومنـا أمسـنا ... ونرفـع شـأويهما فـي الغـدِ

•••

أجـل هـو أشـبه بالمعبـدِ ... بنـاءٌ بقبلتـه نقتـدي
ومـن كـان ينشـد حريـةً ... وعـزًّا فـذلكم المهتـدي
ومـا يبتغـي الـدين مـن مـؤمن ... سـوى البـر والجِـدِّ والسُّـؤْدَدِ
وإنـي لأحسـب ذاك البنـاء ... بنـاء العقيـدة لا الجامـدِ
عقيـدة داعـين قـد أخلصـوا ... لمصـر وللحـق فـي المقصـدِ
يريـدونها حيـث لا يُعتـدى ... عليهـا بضَـيْم ولا تعتـدي

•••

أراه فـأزْهَى بـه عِـزَّةً ... كـأن غنـاه غِنًـى فـي يـدي
وأحسـب أنفالـه حسـبتي ... لكنـز «علـى ذمتـي» مرصـد
إذا قيـل: مـورد أبنـاء مصـر ... فلـي أن أقـول: نعـم مـوردي
ومـا ثـروة المؤئـل المُفتَـدَى ... سـوى ثـروة الوائـل المُفتـدِي

إذا أنـا سُـدت ولـي مـوطن مهـين فمـا أنـا بالسـيدِ

•••

تـرنَّم كمـا شـئتَ واسـتطردِ وهنـئ كمـا شـئت بالمولـدِ

وقُـلْ مـا بـدا لـك فيمـا مضـى وفـي مقبـل بعـده مسـعدِ

تربـى الوليـد وأمسـى بنـوه وأحفـاده زينـة المعهـدِ

أفـي أسـرة الشـيخ مـن عُمـره عـددناه كاليـافع الأمـردِ!

أفي الخمس والعشر يُطوى المَدَى ويفـتح كـل حمـى موصـدِ

وتمـلأ آثـاره الخـافقين أنَّـى يُنـادَ بـه يوجـدِ

سَـلْ الطيـر إنْ رامَهـا فاتهـا سَـلْ الـريح إنْ قادهـا تنقـدِ

سَـلْ الحـوت بـين شـعاب البحـار إن جاءهـا صـائدًا يُصـطدِ

سَـلْ الشـرق عمـن قضـى حجـه سَـلْ الغـرب عـن رائـح مغتـدِ

وسَـلْ قطـن مصـر وسـل تُوتَهـا عـن الغـازل الناسـج المرتـدي

ومـا لـك لا تسـأل المسـتغيث؟! عـن السـامع المبصـر المنجـدِ

ومـا لـك لا تسـأل القـارئين! عـن الطـابع الناشـر الأجـودِ

ومـا لـك لا تسـأل الفـن! عـن صـروح حسـان وروض نـدِ

ومـا لـك لا تسـأل الطيـف! فـي شـباك مـن الظـل بالمرصـدِ

تُمثلـه حُلمًـا ناطقًـا علـى السـتر مـن يبغِـه يشـهدِ

كـذاك يبـارك فـي الصـالحا ت مـن عمـل الصـالح الأيـدِ

وخيـر النجـاح نجـاح بـه نصـيبان للقـوم مـلء اليـدِ

نصـيب الغنيمـة يغنـى بهـا وحسـن الثنـاء علـى المحتـدِ

•••

فيـا قـائمين علـى (حصـن مصـر) سـعدتم برضـوانها الأسـعدِ

إذا قيـل (بنـك) فقـد قيـل حصـن نجـا بالعتـاد وبالمُعْتَـدِ

ومـن قـال يـا أمتـي وفِّـري فقـد قـال يـا أمتـي جَنِّـدي

هنيئًـا لكـم قـادة ذادة يصـولون صـولة مُستشـهِدِ

هنيئًـا لكـم (حـربكم) إنـه مـن الحـرب فـي وصـفها الأحمـدِ

لكـــم رايـــة النصـــر مرفوعـــة   علـــى ســـاحة الـــزمن الســـرمدِ
تعـــود لكـــم كـــل أعيـــادكم   بأجمـــل ممـــا بـــه تبتـــدي

في ذكرى سيد درويش في شهر سبتمبر سنة ١٩٣٥

اذكـــــروا اليــــوم ســــيدًا   واحفظـــوا الـــذكر ســـرمدا
وتغنَّـــــوا بحمــــد مَــــنْ   قــــد تغنَّــــى فأســــعدا
مَــــنْ يكــــن ذاك أمســــه   يبتـــــدئ مجــــده غــــدا

•••

كــــان للصــــوت مالكًــــا   كيـــف لا يملـــك الصـــدى؟
قــد حــوى الســمع شــاديًا   وســــــيحويه مُخلـــــــدًا
أخلـــدُ النـــاس مَـــنْ إذا   قيــــل تاريخــــه شــــدا
عــــاش للفــــن والفنــــو   ن مصــــــابيح للهُــــــدى
مطلـــع النـــور نبعهـــا   جـــاوز الشـــمس مصـــعدا
مـــن يعـــش فـــي الســـماء هيـــ   ـــهات لا يعـــرف الـــرَّدَى

•••

جـــدِّدوا اليـــوم ذكـــر مَـــنْ   قــــد تغنــــى فجــــددا
الــــذي صــــور الحيــــا   ة هتافًّـــــا مـــــرددا
علَّـــم النـــاس كيـــف يعـــ   ـــنون بـــاللحن مَقصِـــدا
مـــا ابتغـــوا قبلـــه المعـــا   نـــيَ فـــي القـــول مســـندا
فـــابتغوا بعـــده المعـــا   نـــيَ فـــي الصـــوت مفـــردا
وانثنـــوا يعجبـــون للطـــيـ   ـــير لمـــا تغـــردا
ولهمـــس النســـيم فـــي الـــ   ـــغصن لمـــا تـــأوَّدا
والـــــدراريّ والســــنا   والأزاهيــــر والنـــــدى

سمعوا كل ما انطوى   من سرار وما بدا

سمعوا الكون بيِّنًا   والمقادير شُهَّدا

فُتح الباب كله   بعد أن كان مُوصَدا

ربما جاز فاتح   في المدى ما تعمدا

•••

إنما الفن في الشعو   ب شباب له الفِدَى

فيض ما زاد من شعو   ر وما هام مبعدا

سورة في عروقها   يتقي بأسها العِدَى

لا أنينٌ ولا طنينٌ   ولا ضجة سُدَى

أو نديم لشارب   بالطِّلا قد تزودا

أو بكاء كما بكى   سائل يطلب الجَدَى

رحم الله سيِّدًا   كان للفن سؤددا

ليت أحياءنا الأُلَى   سبقوا الموت موعدا

لحقوا وهو في الثرى   منه روحًا تمردا

وارْتَأَوْا مثل رأيه   واقتدوا مثلما اقتدى

أكبر الظن أنه   جاور البحر فاهتدى[1]

مُفلحٌ مَنْ يكون أسـ   ـتاذه البحر مزبدا

•••

إنما اللحن ترجما   ن عن النفس ما عدا

مبدع وهو ناقل   كلما قال أوجدا

واصف لن ترى له   عاذلًا أو مُفنِّدا

---

(١) كانت نشأة الموسيقار الكبير في ثغر الإسكندرية.

هكـــــذا كــــــان ســـــيدٌ صـــــادقَ الوصـــــفِ مُرشـــــدا
مـــا ســـمعنا لشـــعب مصـــ ـــــر علـــــى مـــــا تعـــــددا
واصــــــفًا كـــــان مثلـــــه مســــــــــتجابًا مؤكــــــــــدا
كـــــل رهــــــط أعــــــاره لحنـــــه أســـــلم اليـــــدا
وحبـــــــــاه بسِـــــــــرِّه نـــــاطق الوســـــم منشـــــدا
لـــــيس مـــــن عامـــــل ولا عاطـــــــل راح أو غـــــــدا
أو ســـــــــريٍّ مجلَّـــــــــل أو فقيـــــــــر تجـــــــــردا
أو قـــــــويٍّ مزمجـــــــر أو ضــــــــعيف تنهــــــــدا
أو دعـــــــاء دعـــــــاه إلا عرفنـــــــــاه جيِّـــــــــدا
هكـــــذا يســـــمع الخليـــــ ـــــقة مَـــــنْ يســـــمع الصـــــدى

•••

إنمــــا اللحــــن منطــــق وحَّـــــد الكـــــون إذ حـــــدا
فيـــــه لا فـــــي اللغـــــات يبـــــ ـــــــدو نظيمًـــــــا منضِّـــــــدا
اســـمعوا منـــه فـــي الضـــما ئــــــر وحيًــــــا مؤيــــــدا
حيثمـــــا يقصـــــر الكـــــلا م ويمشــــــــي مقيــــــــدا
وارفعـــوا الفـــن واحـــذروا مهبطًــــــا منــــــه أوهــــــدا
واجعلـــوا مـــن تـــراث در ويــــــش للفــــــن معبــــــدا
إنـــــــه مَهَّـــــــد الخُطـــــــى فــــابلغوا أنــــتم المــــدى
رحـــــــــم الله ســـــــــيِّدًا كــــان فــــي الفــــن ســــيِّدا

فاز سعد

نُظِمَتْ عندنا نقل رفات الزعيم الخالد سعد زغلول من ضريحه في صحراء الإمام إلى ضريحه المقام إلى جوار بيت الأمة:

عـــرف النفـــي حيـــاة ومماتـــا وأصـــاب النصـــر روحًـــا ورُفَاتـــا

كلمـــا أقصـــوه عـــن دارٍ لـــه رَدَّه الشـــعب إليهـــا واســـتماتا

كيـــف يجزيـــه افتياتًـــا وهـــو مـــن كان لا يرضى على الشعب افتياتا

أصـــبحت دارك مثـــواك فـــلا تخشَ بعد اليوم يا سعد شتاتا

حبـــذا الخلـــد ثمـــارًا للـــذي غـــرس المجـــد ونَمَّـــاه نباتـــا

●●●

كـــل أرض للمصـــلِّي مســـجد غيـــر أن الكعبـــة الكبـــرى مقـــام

هكـــذا قبـــرك مرفـــوع الـــذُرَا في جوار البيت أو سفح الإمام

أرض مصـر حيـث أمسيت بهـا فبنـــو مصـــر حجـــيج وزحـــام

غيـــر أن الـــذكر يبغـــي منســـكًا مثلمـــا يبغيـــه حـــج واســـتلام

فـــالْقَ فـــي قبـــرك خُلـــدًا كلمـــا مـــر عـــام تبعتـــه ألـــف عـــام

●●●

جيـــرة الأحيـــاء أولـــى بالـــذي بعـــث الـــدنيا حيـــاة لـــن تبيـــد

معشـــر الأحيـــاء أنـــتم لكـــم مـــدد مـــن ذلـــك الميـــت مديـــد

مســـتعيدين رجـــاءً كلمـــا جزتمـــوه وهـــو مـــنكم مســـتعيد

إنـــه فـــي كـــل جيـــل ذاكـــر مـــن بنيـــه أبـــد الـــدهر وليـــد

تلـــك يـــا ســـعد مغانيـــك فمـــا في سواها يسكن اللحد شهيد

●●●

اعبـــر القـــاهرة اليـــوم كمـــا كنـــت تلقاهـــا جموعًـــا ونظامًـــا

ســـاعة فـــي أرضـــها عـــابرة بـــين آبـــاد طـــوال تترامـــى

ســـاعة مـــن عـــالم الفـــردوس لا تشـــبه الســـاعات بَـــدْءًا وختامـــا

كـــل مَـــنْ شـــاهدها زِيـــدَ بهـــا مـــن معانيـــك جـــلالًا ودوامـــا

قــل لهــم أبلــغ مــا قلــت لهــم أيهــا الــواعظ صــمتًا وكلامــا

•••

جــردوا الأســياف مــن أغمادهــا ذاك يــوم النصــر لا يــوم الحــداد

ارفعــوا الرايــات فــي آفاقهــا أين يوم الموت من يوم المعاد؟

لا يُلاقَــى الخلــد بــالحزن ولا يُكتَسى الفـتح بجلبـاب السـواد

ذاك يــوم مــا تمنــاه العِــدَى بــــل تمنــــــاه ولاء ووداد

فانفضــوا الحــزن بعيــدًا واهتفــوا فــاز سـعد وهــو فـي القبـر رمـاد

•••

الفـــراعين الأُلَـــى أجليـــتهم لَتَمَنَّــوا لــو أجــازوك الطريــق

أنــت أضــفيتَ علــى أوطــانهم ســعة وهــي مــن الأســر مضــيق

أنــت أيقظــتَ لهــم تــاريخهم وهــو فــي نومتــه لا يســتفيق

فضــلك اللاحــق أحيــا فضــلهم فاســتوى منــه طريــف وعريــق

آيــة فــي الحــق لا ينســخها أبــد الــدهر عــدو أو صــديق

•••

يــا بنــي مصــر اجعلــوا نقلتــه رمــز إحيــاء وعــزم ومضــاء

وانظــروه كيــف حالــت دونــه غِيَــرٌ شـتَّى ومـا حـال القضـاء

المُنحَّـــون تنحَّـــوا جانبًـــا آخـر الأمـر، وسـعد فـي البنـاء

كــل ذي حــق ســيعطى حقــه لـيس للمجـد مـن الخلـد نجـاء

كــل مــا عــارض ســعيًا باقيًــا عَـــرَضٌ فـــانٍ وزورٌ وريـــاء

•••

ترمــز الشــمس[٢] إلــى نقلتــه بســفور غالــب بعــد حجــاب

---

(٢) إشارة إلى كسوف الشمس صباح ذلك اليوم.

صـرعت ليلـين صـبحًا فـروَتْ عـن حضـور ناصـع بعـد غيـاب
هـو أيضًـا قـد طـوى ليـل الـردى وطـوى ليـل الغواشـي والكِـذَاب
فـي السـموات وفـي الأرض لـه أثـــر ينبـــئ عـــن يـــوم المـــآب
أثـــر الفجـــر إذا انْجـــاب لنـــا عـن ضـحاه بعـد لَأْيٍ وغِـلَاب

•••

دان يـا سـعد لـك الـذكر بمـا شـيد البـاني ومـا خـط الزبـور
قَـــدَر نـــادى فلبَّتـــه علـــى موعـد الـذكرى صـخور وسـطور
أنـا بـانٍ لـك فـي مُلْـك النهـى منـزلًا يبقـى ولا تبقـى الصـخور
مـــن أســـانيدك آســـاس لـــه ومـــن الحـــق لـــه حســـن ونـــور
إن أنـــل شَـــأْوَك فيـــه إننـــي بالـــذي شـــيدت منـــه لفخـــور

•••

فتيـة الـوادي بسـعد فاقتـدوا إن تخيـــرتم لـــه خيـــر وفـــاء
اذكـــروه بالـــذي يعملـــه مـــنكم العامـــل فـــي غيـــر ونـــاء
واذكـــروه بالـــذي امتـــاز بـــه مـــن مزايـــاه الأبيَّـــات الوضـــاء
هكـــذا يخلـــد ســـعد بيـــنكم بتماثيـــــــل حيـــــــاة وروَاء
كـل مـا يعظـم مـن أعمـالكم هـــو تخليـــد لـــذكرى العظمـــاء

إلى متطوع مشروع القرش

نُظِمَتْ هذه القصيدة تشجيعًا للشبان الذين كانوا يطوفون بالطرقات والمنازل؛ لجمع الاكتتابات بالقروش وتخصيص ما يجتمع منها لإحياء الصناعة الوطنية:

يـــا آخـــذًا أشـــبه بالمـــانح بوركـت فـي مجهـودك الصـالحِ

تمـــد كفيـــك ولكـــن كمـــا مُـدت يمـين المنقـذ الناضـحِ

وتعقـــد الصـــفقة لا تنطـــوي فــي عقــدها إلا علــى رابــحِ

فبـــاذل القـــرش ومـــن نالـــه صـنوان في وزن النـدى الـراجحِ

•••

يـــا فتيـــة القـــرش وروادهُ على سـواء المـنهج الواضـحِ

خـذوا هبـات الجـود حتـى إذا فــرغتم مــن فيضــها النــاقحِ

طوفـوا علـى الـدور ولا تتركـوا بابًـا قـد استعصـى علـى فـاتحِ

وحاصــروا الراكــب فــي ركبــه واسـطوا على السـانح والبـارحِ

وراقبـــوا الجـــو ولا تتقـــوا غوصًـــا وراء الغـــائص الســـابحِ

وعلمـوا مَـنْ ضـن بـالقرش أن يخجـل مـن عدوانـه الفاضـحِ

فمـــن أبـــى قرشًـــا علـــى أمـــة فـــذاك كالجـــاني وكالجـــارحِ

أنـتم رجـال الغـد فاسـعوا لـه بـــرأس مـــالٍ لغـــد نـــاجحِ

وزودوا مصـــر بـــزاد الغنـــى والعزم من هـذا الصبا الطامحِ

وأنبتـــوا مصـــرًا لكـــم حـــرة تغلــو بهــا أحدوثــة المــادحِ

نعـــم البنـــون الأذكيـــاء الأُلَـــى ردوا جميــل الــدرهم الفــادحِ!

أرضـــاكم إذ كنـــتم صـــبية صحتم صياح الغاضب الجامحِ

فلـــم يـــزل حتـــى رجعـــتم بـــه رضـــى لهـــذا الـــوطن الصـــائحِ

بين عهدين

أُلْقِيَتْ في مؤتمر حافل أوائل سنة ١٩٢٥:

أحسـنتم الصـبر والعقبـى لمـن صـبروا نـادى البشـير فقولـوا اليـوم وائتمـروا

تلـك السـنون التـي ذقـتم مرارتهـا هـذا جناهـا فطـاب الغـرس والثمـرُ

مـرت وفـي كـل مصـريٍّ لهـا أثـرٌ إلا اليقـين فمـا فيـه لهـا أثـرُ

سـيهدم الطَّـوْدُ مَـنْ يبغيـه معتـديًا ولـيس يُهـدم مـن أركـانكم حجـرُ
بنـاكم الله فـي أرض إذا رفعـت صرحًا من المجد لم تعبث به الغِيَرُ
الـدهر فـي غيرهـا هـدَّام أبنيـة والـدهر فـي شـاطئيها حـارس حـذرُ
كِنَانَـة الله كـم أوفـت علـى خطـر ثـم اسـتقرت وزال الخـوف والخطـرُ
وكـم توالـت علـى أبوابهـا أمـمٌ ومصـر باقيـةٌ والشـمس والقمـرُ
كـأن رمسـيس حـيٌّ فـي مدينتـه يرعـى بَنِيـه وهـم مـن حولـه زمـرُ

•••

هـا أنـتمُ أنْـتُمُ والشـمل مجتمـعٌ لا الأمن طاش ولا أجناده حضروا! (٣)
أيـن القلاقـل؟ بـل أيـن المعاقـل؟ بـل أيـن الزبانيـة الفتاكـةُ الشـزرُ
وأيـن مـن أرسـلوهم فـي محـافلكم؟ وأيـن مـا خوفـوا الـدنيا ومـا زجـروا؟
خـافوا علـى أمـنهم لا أمـن أمـتهم كذاك يخشى بغاة السوء من سهروا
إذا الظـلام حـواهم فـي مسـاربهم فـالنور فـي الليـل ذنـب لـيس يُغْتَفـرُ
لا يـرحم الله عهـدًا كـان آمنـه حربًـا علـى الأمـن لا يُبْقِـي ولا يـذرُ
مـن كـل بـاغ لـه فـي الشـر ألـف يـد لـو قُطِّعـت كلهـا لـم يُجْـزِهِ القـدرُ
ينعـى علـى الشـرف العـالي مفـاخره وينثنـي وهـو بالآثـام مفتخـرُ
قـالوا «النظـام!» وطـافوا حولـه نُـذُرًا شـاه النظـام وشـاهتْ تلكـم النُّـذُرُ
بـئس النظـام الـذي تعلـو بقمتـه نفايـة فـي حضـيض الـذلّ مـا ظهـروا
تسـللوا شِـيَعًا فـي كـل ناحيـة كـأنهم منسـر فـي الأرض منتشـرُ
ظلـم ولـؤم وإتـلاف ومفسـدة وسـطوة وقلـوب كلهـا خـورُ
الله فـي عـون مصـر مـن رذائلهـم كـم أجرمـوا فـي نواحيهـا وكـم فجـروا
لـو أنصـفوا كـان سـجنًا دار نـدوتهم يحمـى المهـارب منهـا حـارس عَسِـرُ

(٣) كان أعداء الحرية يمنعون كل اجتماع بدعوى الخوف على الأمن العام.

نَصُّوا الشرائع فيها للعقاب بها … وهم لكل عقاب زاجر وطرُ

ما كان خارجها جانٍ أضرُّ على … بلاده من جُنَاة عندها حشروا

قالوا: انتخاب! فقلنا: إي نعم صدقوا … هو انتخاب لمن خانوا ومن غدروا

هو انتخاب، أجل! بل تلك غربلة … وهم هنالك في غِربالها وضرُ

لا تدخلوها إذا جئتم بساحتها … إلا إذا غُسلت ألفًا وتعتذرُ

فازوا بمال وقد فزتم بأنفسكم … ربحتمُ أنتم العقبى وهم خسروا

عرفتم الخطة المثلى بتجربة … وراء تجربة تمضي وتندثرُ

وفي التجارب من حق ومن عِبَر … فما لهم ما وعوا حقًّا ولا اعتبروا

آن الأوان لمصر أن تجدَّ على … مناهج السعي لا زيغ ولا غررُ

قويمة الخطو لا التيه الذي نصبوا … يُثنى خطاها ولا الجب الذي حفروا

على الصراحة إن ودَّت وإن نفرتْ … ويستوي بَعْدُ مَنْ وَدُّوا ومن نفروا

هيهات تحجب عينيها براحتها … إذا اتقوا نظرة منها لما ستروا

شِعَارها ذاك فليحمل نظائره … من يبتغي ودها تنفعهم الشّعرُ

•••

يا فتية النيل هذا النيل مستمع … ومصر ناظرة والشرق منتظرُ

صونوا لمصر تراثًا من أوائلها … وثروة من ثراها الحُرُّ تُدَّخَرُ

ووفُّروا من قواها كل ما وفرت … من الضمائر في الجُلَّى وما تفِرُ

وعلِّموا علمها من ينفعون به … سيان في العلم ذو مال ومفتقرُ

ويسروا من صناعات الأكفِّ لها … ومن فنون بها الأرواح تزدهرُ

أمانةُ تلك في أعناقكم عَظُمَتْ … وبالأمانة فليعظُم من اقتدروا

فباركوا شعبكم وادعوا بدعوته … واستبشروا ومُروا بالحق وائتمروا

دار العمال

أُلْقِيَتْ في دار العمال عند افتتاحها في صيف سنة ١٩٣٥:

حـيِّ «دار العمـال» بالإقبـال | وتَرَقَّـب لهـا بلـوغ الكمـالِ
وانتظـر رافعـي الـدعائم حتـى | يرفعـوا بيـتهم عزيـز المثـالِ
رفعوا أمس ما علا من صروحٍ | ولهـم فـي غـد صـروح عـوالي
ولهم في غد من الأمر قِسْط | مـن يكـن مؤمنًـا بـه لا يُغـالي
أيها العـاملون لبَّـيكم اليـو | م ولبَّـيكم غـدًا فـي المجـالِ
نعمَ جيش السلام أنتم إذا ما | جـرَّد البغـيُ جيشـه لاغتيـالِ
لكم العدة التي ما استطاعت | أمـة قـد تركهـا فـي نـزالِ
ولكـم أذرع شـداد وأيـدٍ | مـن حديد وأظهـر مـن جبـالِ
ولكم في اتحـادكم رأس مال | إن فقـدتم ذخـائر الأمـوالِ
ولكـم صـيحة يهـاب صـداها | سـادة فـي نفوسـهم كـالموالي
فـابلغوا بالوئـام والصـبر مـا لا | يبلـغ المرجفـون بـالأهوالِ
لا يسـخِّركم المسـخِّر جهـلًا | وانبـذوا كـل عاطـلٍ مكسـالِ
حبذا الناس يعكفون على الأعـ | ـمال حتى ذوي الغِنَى والملالِ

•••

لا يكـن مـن بَنِـي الكنانـة بـاغٍ | يمـلأ النـاسُ دوره وهـو خـالِ
ويكيـل النَّضـار وهـو دمـاء | جُمِعَـت مـن مصـارع الآجـالِ
كيـف ترعـى عنايـة الله أرضًـا | بـاء فيهـا المُجِـدُّ بـالإقلالِ؟
ينسـج الخـزَّ والحريـر ويمشـي | حافيًـا فـي الرقـاع والأسـمالِ
ويشـيد القصـور وهـو شـريد | فـي زوايـا الكهـوف والأطـلالِ
ويُـدِرُّ الغِنَـى ومـا فـي يديـه | شِـبْعَةُ الوالـدين والأطفـالِ

يهـب المتـرفين عمـر فـراغ وهـو بـاكي الأيـام بـاكي الليـالي
ذاك ظلـم نُعِيـذُ بـالله مصـرًا مـن أذاه فـي مقبـل الأجيـالِ

•••

أيهـا المنقـذون بِنْيَـة مصـر مـن فتـور ومـن ضـنى أو كـلالِ
أنـتم الكـف والـذراع وأنـتم قـوة فـي يمينهـا والشـمالِ
حظكم حظها من العلم والصحَّـة والبـأس والحجـى والخصـالِ
كلمـا نالهـا نصـيب مـن الخيـر فـأنتم لكـم نصـيب تـالي
أعجـب النـاس عامـل فـي بـلاد صـاح فيهـا: مـا للبلاد ومـا لـي؟
لا تقولـوا العمـال حسـب وأنـتم فـي بـلاد تمـوج بالعمـالِ
إن مصـرًا تنـال مـن غاصـبيها أجـر بخـس وخدعـة ومطـالِ
وهـي أرض للـواغلين عليهـا سـطوة أشـعبية الإيغـالِ
كـل من في جوانب النيل عـانٍ مسـتغَلُّ الجهـود والآمـالِ
كلهـم غـارس لآخـر يجنـي ثمـر المـاء والثَّـرَى والرجـالِ
وإذا مـا تفرقـوا طبقـات جمعـتهم جوامـع الأغـلالِ
وإذا قيـل مُوسِـر وفقيـر فقصـاراهما إلـى اسـتغلالِ
حققـوا الأمـر مـا قضـية مصـر بعـدُ إلا قضـية العمـالِ
فـاعملوا جهـدكم لمصـر جميعًـا واتبعوا خطة الهدى لا الضلالِ
مـا لكـم منصـف ولا لبنيهـا منصـف قبـل يـوم الاسـتقلالِ

تأملات

حَيَوَات كثيرة لا حياة واحدة

أرى الحيــوات والأيــام شــتَّى / وأنــت الـدهرَ فـي كـون جديـد
أتحســـب أنـــه شـــيء وحيـــد / إذا ســـميته باســـم وحيـــد؟
فـلا تخـشَ التنـاقض فـي كـلام / عــن الــدنيا ورأي فــي الوجــود
فــإن الصـــدق مفترقًــا لأَوْلَــى / مـن التلفيـق فـي جمـع الشـهود

حكمة الجهل وجهل الحكمة

حين قال المعري:

وأعجب مني كيف أخطئ دائمًا / على أنني من أعرف الناس بالناس

كان من الحق ألا يعجب هذا العجب؛ لأن الكريم يُخْدَع كما قال العرب قديمًا، والإنسان إنما ينخدع بالناس؛ لأنه كثير العطف لا لأنه قليل المعرفة، وإن أقل الناس معرفة ليتقي الخداع إذا كان مع ذلك قليل العطف والشعور، فليس أسهل من أن يغلق المرء أبواب نفسه، ويحجب ما بينه وبين العالم إذا كانت نفسه مُغْلَقَة بطبعها أو كان لها منفذ محدود.

والحوار الآتي حوار بين رجلين: أحدهما حريص يزعم أنه آثر الشُّح والأنانية لِسَعَةِ عقله، والآخر يحسب هذا الحرص فقرًا ويحسب اللجوء إليه ضرورة:

ألـــم أقـــل لـــك مهـــلًا / فالنــــاس لـــؤم وشـــرُّ
لا تُـــولِهم منـــك عطفًـــا / فهـــم مـــن العطـــف صـــفرُ

لـــو كنـــت تعلـــم علمـــي لمـــــا أصـــــابك ضــــرٌّ
نعـــم نعـــم قلـــت هـــذا إنـــــي بـــــذاك مُقــــرٌّ
وأنـــــت عنـــــدي طفـــــل وأنـــــت عنـــــدي غِــــرٌّ
ومـــــــا لقولـــــــك وزن ولا لنصـــــــحك شـــــــكرُ
أنفقـــتَ عطفـــك قبلـــي وذاك يـــــا صـــــاحِ فقـــــرُ
كـــم حكمـــة هـــي جهـــل وغفلـــــة هـــــي فخـــــرُ

حب الإنسانية

لا يكون حب الإنسان حبًّا عظيمًا إلا إذا فاض من طبع زَاخِر، وقلب رحب، ونفس واسعة الآفاق، أما الحب الذي منشؤه العجز عن النكاية وقلة الحيلة، فذلك حب ضرورة لا عظمة فيه:

قــد جــرب النــاس فألفــاهم للــبُغْضِ أهــلًا كلهــم أجمعــين
فضــاق عــن بغضــائهم ذرعــه ولــم يجــد عزمًــا بــه يســتعين
فارتــد يهــواهم ويحصــي لهــم أعــذارهم وهــو كظــيم حــزين
فيــا لــه حبًّــا لمــن رامــه أرخص من بغض العدو المبين
لـو لـم يكـن فـي حـبهم مكرهًـا لعاضـــهم منـــه بجـــزِّ الـــوتين

شكر اللؤماء

جـــــــزاكم الله خيـــــــرًا يـــــا معشـــــر اللؤمـــــاءِ
عودتمـــــــوني صـــــــبرًا علـــــى ضـــــروب المـــــراءِ
وكنـــــت أجفـــــل منهـــــا إجفـــــال بـــــاغي النجـــــاءِ
وكنـــــت أحســـــبها مـــــن عجائـــــــب الأشـــــــياءِ
فـــــاليوم أعجـــــب ممـــــن يقضـــــي حقـــــوق الوفـــــاءِ
مـــن يـــألف الســـم يُعصـــم مـــــن لدغـــــة الرقطـــــاءِ

مسألة ذوق!

لا تُصلح الأرض يا صديقي	إن كنت من عاشقي الجمال
فكل ما كان من صلاح	فيها نشوز أو اختلال
دعها على حالها تدعها	في خير حال أو شر حال
مجموعة الشمل في طراز	منسوقة الشكل في مثال
وإن أردت الصواب فامسخ	ما كان فيها من اعتدال

بعض التفاؤل

من المتفائلين مَنْ يضحك للحياة كما يصفق المرء للرواية السخيفة؛ ليقنع نفسه أنه لم يضيع الليلة عبثًا، ولم يؤد أجرة الدخول في غير طائل:

والله ما هتفوا لك	ولا استطابوا دخولك
يا مسرح الكون رفقًا	بهم وعَجِّل أُفُولَك
لو لم يؤدوا رسوم الدُّ	خول ما صفقوا لك
تسلِّيًا لا سرورًا	يقرِّظون فصولك
لو يدفع الغيظ غرمًا	إذًا لشقوا طبولك

صيام الفكر

دع اليوم زاد الفكر في صفحاته	أنا اليوم عن زادي من الفكر صائم
وقد يهجر العقل الكتاب تدينًا	كما تهجر القوتَ الجسومُ الطواعم

العلم والحياة

إن أنت لم تفقهم الحياة فكن	حيًّا فتغنى بها عن الفهمِ

ما العلم مغنيك عن محاسنها وهي غناء كافٍ عن العلمِ
وكل علم لم يَحْيَ صاحبه أحب منه جهالة العجمِ

إن لم تكن متفائلًا فكن حجة للمتفائلين

قلبي إذا غالبه رَيْبُه في آنة فهو بعذرٍ قمين
شكوت من بعض الحياة الأذى وما لها عندي شكاة تشين
إن ألقَ منها الشر لقَّيتها خيرًا وإن خانت فإني الأمين
حسبي غفرانًا لريبي بها أني فيها من دواعي اليقين
أجني مرير الشك منها وبي تؤكد الإيمان للآخرين
إن زارنا فحقٌّ وإن زال بنا الريب فحق مبين

الشعر دار لا دير

الشعر باب الحياة عندي لا مهربي من حياة جدي
لم أقصد الدير من حماه وإنما الدار منه قصدي

قصد الطبيعة

سنة بين قرها ولظاها والغواشي من ليلها وضحاها
سنة! والعناصر الهوج يَقْظَى في سمواتها وتحت ثراها
تنسج الماء والهواء وشيئًا من سناها ونفحة من شذاها
لنرى في صباح يوم بهيج زهرةً يشهد المساء مداها
أيها المؤمنون بالقصد هاكم من أصول الحياة قصد هداها
أيها الواثقون بالعمر مهلًا إنما العمر زهرة في نداها

على البعد! إن كان لا بد من البعد

يا حكيمي وعليمي والذي يعرف الأسرار عرفانًا شديدا

لا تقل لي إنما حسن الدنى … خدعة تفتن من كان بعيدا

إن يكن ذاك صحيحًا فابتعد … وانظر العالم تنظره رشيدا

وتكن في الحق أدرى بكلا … جانبيه وتعش فيه سعيدا

أنت مخدوع عن «الأحسن» إن … عشتَ «بالأسوأ» ترعاه وحيدا

والذي تزعمه ذا غرة … هو أستاذك إن كنت مفيدا

جهل الأسرار وانقاد لها … فوعاها كلها وعيًا شديدا

الجنس

أيما لفظة جرت … من فم المرأة امرأة

تشتهي الزوج من فئة … والأخلاء من فئة

ليس بالجسم وحده … يعرف «الجنس» منشأه

ميزان الرجال

سنجات[1] ميزان الرجا … ل نقصت وزنًا بعد وزن

حتى رأيت الكِفَّة الـ … ـكبرى خلتْ ظهرًا لبطن

فإذا وزنت فلا رجا … ل سوى التشبه والتظني

ما كان يغنينا التما … م فبات عُشْر العُشْر يغني

ذكرى الموتى تُحْيي الأحياء

لا تظلموا الموتى أمانتهم … إن الحقوق لمستحقيها

أَنَضِنُّ بالذكرى على مهج … تركت لنا الدنيا وما فيها

برًّا بنا إن لم نبرّ بها … فالذكر يُحيينا ويُحييها

---

(١) سنجات: جمع سنجة، وهو ما يوضع في كف الميزان ليوزن به.

الاستعمار

حجة المستعمرين أنهم يفتحون البلاد لضيق أوطانهم عن أبنائها، وهؤلاء المستعمرون هم أنفسهم الذين يجزلون المكافآت ويخلقون المزايا الاجتماعية لتشجيع النسل، وزيادة الذرية، كأن أوطانهم مقفرة من السكان!

ضـقتم بـأولادكم ذرعًـا فمـا لكمـو ... ترعـون كـل أب فـي الحـي ولادِ!

لـو صـح مـذهبكم قامـت شـرائعكم ... لمَـنْ نمـا ولـدًا فـيكم بمرصـادِ

ولاغتـدى كـل ميـت بيـنكم بطـلًا ... مُشـيَّعًا بحفـاوات وأعيـادِ

وقيـل مَنْ عـاث شرًّا فهـو محتسب ... ومَنْ حمى الناس فهو الآثم العادي

لعـل ذلـك يُغنـيكم ويمـنعكم ... غزو الديار وسلب الجائع الصادي

تفاؤل وتشاؤم

لـيس بالزاهـد فـي دنـ ... ـياه مَـنْ يقسـو عليهـا

مـن قسـى يومًـا كمـن بـا ... ت علـى شـوق إليهـا

هكـذا مـن يشـتهي معـ ... ـشوقة فـي حالتيهـا

العشق المهتدي

اعشـقْ جمـال البرايـا ... نماذجًـا لا فُـرَادَى

تبلـغ مـدى الحـب معنًـى ... ولا تضـل مـرادا

اشتراكي يعلل الربيع

لكل شيء علة مادية أو اقتصادية عريقة الأصول عند الاشتراكيين، وكل مخالف لهم فهو متهم مأجور، وإن لم يدر أنه متهم مأجور! ومن

ورائه مكيدة للمستغلين وأصحاب رءوس الأموال، وهم عدد قليل يستأثر بأعمال العدد الكثير من الناس!

وما القول في جمال الطبيعة وفتنة الربيع؟

هما أيضًا مكيدة «رأسمالية» إن صحت الرواية الآتية!

رفيق أول:

إن الربيـــــع جميـــــل صـــه! ذاك قـــول دخيـــل

رفيق ثان:

ألســـت تعلـــم أن الـــرَّ بيـــع شــــيء ثقيــــل
وأنــــه مـــن صـــنيع للغـــش فيـــه أصـــول

رفيق أول:

مَـــنْ غشـــه يـــا صـــديقي؟

رفيق ثان:

حقًّـــا لأنـــت جهـــول
قـــد غشـــه الأغنيـــاء الـــ ـــمستأثرون القليـــل
ألـــيس فيـــه متـــاع لهـــم وظـــل ظليـــل؟

رفيق أول:

لكـــن بعيشـــك قـــل لـــي وذاك منـــي فضـــول
بـــأي برهـــان صـــدق وأي شـــرح يطـــول
قـــد أقنعـــوا الأرض حتـــى باتـــت إلـــيهم تميـــل؟

رفيق ثان:

حقًّـــا لأنـــت عجيـــب فيمـــــا أراك تقـــــول!

رفيق أول:

برشـــــــوة دفنتهـــــــا فـــي جوفهـــا يـــا زميـــل
ألا تـــرى التبـــر فيهـــا منهـــا إليهـــا يئـــول؟
فـــافهم إذن يـــا صـــديقي فقـــد أتـــاك الـــدليل
وأيَّدتْـــــه شـــــهود وأكدتـــــه عقـــــول
الأرض والشـــمس والنـــا س والـــدُّعاة العـــدول
لهـــم ضـــمائر ســـوء مرضـــى وطبـــع وبيـــل
بـــذاك «مـــاركس» أفتـــى ونقضـــه مســـتحيل!

درجات الفضائل

لا تقـــل فـــاجر وبَـــرٌّ ولكـــن قل هو الصدق والمِرَاء صنوف
رب حـــق فيـــه نفـيس ومـــرذو ل ومَـــينٌ يرجـــى ومَـــينٌ يخيـــف
إنما الفاضل الذي فضله في الـ ـــخير والشـــر فاضـــل وشـــريف

الإباحية الحديثة

تعـــرى النـــاس لا حبًّـــا لعـــرى ولكـــن أنكـــروا الطمـــر القـــديما
فمـــن عـــاف التكشـــف فليجـــئهم بجلبـــاب يـــزينهم ســـليما

ربيعيات

الفاكهة المحرمة

إذا نهيتَ إنسانًا عن الخمر، فشربها للذتها وهو يؤمن بأنها حرام؛ فالمسألة هنا هي مسألة الخمر، والقوة المتمثلة هنا هي قوة الإغراء على الشراب.

أما إذا نهيته عن الخمر فشربها؛ لأنه لا يؤمن بحقك في نهيه وأمره؛ فالمسألة هنا هي مسألة السلطان والرغبة في تحديه، وليست الخمر إذًا إلا مظهرًا للنزاع بين الآمر والمأمور.

والفرق بين تهتك العصر الحديث وتهتك العصر القديم هو هذا: هو أن المُتهتِّك القديم كانت تغلبه لذة الشيء المنهي عنه، أما المتهتك الحديث فتغلبه شهوة التمرد والجموح:

فاكهـــة الجنـــة الحـــرام	مـــا زالـــت معشـــوقة الأنـــام
تنـــاولوا مـــن جنـــاك حينًـــا	شـــوقًا إلـــى لـــذة الطعـــام
واســـتطلعوا الســـر منـــك حينًـــا	والســـر أمنيـــة تـــرام
وذاق منـــك التقـــاة حينًـــا	ليفثئـــوا صـــورة الصـــيام
وهاجمتـــك الغـــزاة حينًـــا	هجمـــة صـــيد أو اغتنـــام
أمـــا بنـــو عصـــرنا فبـــدع	فـــي غـــزوهم ذلـــك المقـــام
فمـــا ابتغـــوا لـــذة ولا هُـــمْ	طـــلاب ســـر أو التهـــام
لكـــنهم قـــاربوك كبـــرًا	وأولعـــوا فيـــك بـــالملام
تحـــديَ الحـــارس المغـــالي	وشـــهوة الســـبق فـــي الزحـــام

أزهار الذكرى

قطفت أزاهر الذكرى أصيلًا فصوَّح حسنها قبل العشيِّ
فبِتُّ أضاحك الأفلاك سخرًا وأرثى للذَّكور وللنسيِّ
إذا ما كان هذا عمر حبي فيا بؤس الغرام الآدميِّ

•••

وصاح الحب لا تعجل فإني كما نُبِّئتُ من طفل ذكيِّ
ضع الأزهار في ماء، وجدد روافدها من الشجر الجنيِّ
تعش ما شئت في حسن نضير وفي أمن من الهجر الخفيِّ

•••

نعم يا حب أنت على صواب فيا لك من وليد عبقريِّ
وضعتُ الزهر في الماء المُصَفَّى وعدت إليه بالرفد الزكيِّ
فرفرف للحياة وطال عمرًا وطاول عهده عهد وفيِّ
نعم يا حب أنت على صواب وعندك حكمة الخلد الصبيِّ
فلا ماض يدوم بلا جديد ولا حيٌّ يعيش بغير رِيِّ
إذا مات الغرام بلا طعام فتلك طبيعة في كل حيِّ

ابنا النور (الزهر يخاطب الجوهر)

يا جوهر الحسن لا تضعني لديك بالموضع المهان
فالزهر والجوهر المصفى صنوان في النور توأمان
أشعة النور في يدينا وديعة أو وديعتان
لكننا بيننا اختلفنا يا جوهر الحسن في الصِّيان
تصونها أنت من بعيد بالسيف والرمح والسنان
ولم تزل في يدي كنزًا يُصان بالعطف والحنان

ومعـــدن النـــور فـــيَّ حـــي وفيـــك معنـــى الحيـــاة فـــان
فيـــا زمانًـــا بـــلا حيـــاة إنِّـــي حيـــاة بـــلا زمـــان
كـــلٌّ لـــه مـــن أبيـــه حـــظ ونحـــن بـــالحظ راضـــيان

عودة الكروان

مرحبًـا أيهـا البشـير ومرحـى بعد طول السكوت ليلًا وصبحا
جاءنـا رائـد الكـراوين فـي جنـ ـح من الغيـب يفتح العام فتحا
فـإذا الليـل خـافق، وظـلام الـ ـليل طلـق آيـة الليـل فصـحى
وغنمنـا عامًـا مـن العمـر لمـا عاد ماضي الربيع والأرض فرحى
والربيـع الجديـد يـدني إلى المـا ضـي شـبابًا ويـربح العمـر ربحـا
كلمـــا زاد بالمواســـم عـــدًّا خلتـــه قـــل بالحيـــاة وصـــحًّا
فكـــأن الربيـــع معنـــى قـــديم فـي طويـل الزمـان يـزداد شـرحا

•••

مرحبًـا بالبشـير بـل ألـف مرحى قد سمعناك فاملأ السمع صدحا
واملأ الليـل بالنـداء على الحبْـ ـبِ مُصِـرًّا علـى النـداء مُلِحًّـا
أنـت لا شـك مـوقظ منـه وَسْنَا نًـا معيـد لـه إذا مـا تنحَّـى
قـد سـمعناك بـالقلوب وصدقـ ـناك فاسبح بحمد دنياك سبحا
لسـت بالمـادح المريـب فلـولا فتنة في الحيـاة مـا قلت مدحا

•••

مرحبًـا بالـذي إذا ارتجـل السـا عة أوحى في النظر ما ليس يوحى
المعيـــد الزمـــان جـــيلًا فجـــيلا وهو في ضحوة من العمر أضحى
أبـــدًا مـــذكري وإن نشـــأ العـــام عهـودًا مـن سـالف العمـر مرحى
أنـت ذكـرى وأنـت بُشـرى فهيهـا ت لقلب عن أي نهجيك منحى

لك لمح كالبرق في عالم الصو ت يشق الظلام جنحًا فجنحا
ويرينا الحياة وهلة حلم تنجلي عالمًا، وتعبر لمحا
أمة الطير لا عدمنا نصيحًا منكم يبهج الخواطر نصحا
مؤمنًا بالرجاء يُزجي إلينا من رجاء ما غاب حينًا وشحًّا
داعيًا للحياة لم يألُ نضحًا من مزاميرها ولم يألُ نفحا
أنتم من مراجل الشوق فيها شرر يقدح الضمائر قدحا
تطلبون الجمال كالعاشق المطـ ـلوب لا كالأثيم يطلب صفحا
كل من بشروا من الناس بالخيـ ـر عيال على العصافير طلحى
لا ترى الشك في سرور ومنها كل يوم قتلى شرور وجرحى

•••

زعموا البوم نائحًا ظلموا البو م فلم يشك في الخرائب برحا[1]
إنما كان مغرمًا يَتغنَّى أو مجدًّا يغالب العيش نجحا

فصل الحب

هناك سنبلة في كل نابتة وها هنا ريشة في كل منقارِ
قضى الزمان حقوق الزهر وابتدأت حقوق فاكهة تنمي وأثمارِ
فالغصن والطير هبًّا يلقيان معًا بنيهما بين أكمام وأوكارِ

عزاء

قلت للقلب كيف حسن العزاء بعد فقد الصحابة الأوفياء؟
قال لي القلب وهو يزعم أن لم يتبدل شيء من الأشياء
كل شيء كعهده لا جبال الـ أرض غارت ولا نجوم السماء

([1]) البرح: الشدة والأذى.

قلت يا قلب قد صدقت ولكن بلغ الصدق منك جهد الرياء
إن يكن ذاك خير ما أنت فيه من عزاء، فذاك شر البلاء

يومنا

يومنا عاد، فهل تعرفه؟ شد ما رعرعه العام السريع؟
شد ما غذته في نشأته قبلات تشبع الحب الرضيع
هي تنمي حين تغذو طفلها وهي تنمي طفلها حين تجيع

•••

سنة كانت ربيعًا كلها بين روضٍ يتغنى ويضوع
زهرها ناهيك من زهر، فإن أنبتت شوكًا، يكن شوك ربيع
حبذا الشوك من الحب ولا حبذا من غيره العشب المريع

•••

غُضَّ عينيك قليلًا واستعِدْ خطوات العام في الأفق الوسيع
كم ترى من خفقة غَنَّتْ بها ساعة العمر التي بين الضلوع
كم ترى من قبلة رنت بها تلكم الساعة؟ قل لو تستطيع!
كم ترى من نشوة حامت بنا حول عِلِّيين والعرش الرفيع
إن يطل شرح المعاني فاختصر كل ما فرقت في معنى جميع
هو «حب» فإذا فرقته فهو ما راع قديمًا ويروع
هو حب واحد لكنه شائع كالنور من حيث يشيع
لم يكرر قط في ترداده كل ترداد له خلق بديع
فإذا عشت له عشت به في بواكير من العيش الينيع
أين يمضي بك يا يومُ السرى وعنان الحب يا يوم مطيع؟
طفت ما طفت وساقتك لنا صحبة إن ضاع شيء لا تضيع

وعلـى العهـد مـدى العمـر هنـا نحــن يــا يــوم ومــأواك منيــع
أبـــدًا نلقـــاك والحـــب معًـــا هـــا هنـــا بـــين مُضِـــيٍّ ورجـــوع

حذار!

قلــت للحــب تجــرد لمحــةً مــن كناناتــك وادخــل بســلام
قـــال لا تخـــشَ فـــإني قـــادم غيـر مـا عـادٍ ولا بـاغي خصـام
ثـــم أمســـينا وبـــي مـــن طعنـــه حرقـــات داميـــات وســـمام
قلـت: مـن أيـن سـهام مزقـت ذلـك القلـب فأمسـى لا ينـام؟!
قـال: مـن ريشـي إذا الـريش نمـا ومــن الــوهم إذا جــن الظــلام

•••

يـــا أمـــين القلـــب لا تـــأمن لـــه حـــول مغنانـــا ولا تـــرع الـــذمام
أنـــت إن عرَّيتـــه مـــن ثوبـــه نبتـت مـن جلـده تلـك السـهام
ومـــن الـــوهم لديـــه عـــدة قصـــفت شـــكتها كـــل حســـام

مرقص الشجر أو جنون الرقص

عجبًـــا مـــا لـــذا الشـــجر؟ جـــنَّ أو مســـه ســـكَر!
ودَّ لـــو يتبـــع النسيـــ ـــم طليقًـــا مـــن القـــدر
كـــل مـــا فيـــه راقـــص ثـــائر ثـــورة الخطـــر
يترامـــى مرفرفًـــا ذاهـــب الســـمع والبصـــر!
يحســـب اللهـــو فانيًـــا أو مجـــدًّا علـــى ســـفر
هكـــذا تصـــنع الحســـا ن مـــع اللهـــو والســـمر
إن زهـــتهن فتنـــة قلـــن للقلـــب لا نـــدر
أو تَـــذَوَّقْنَ لـــذةً قلـــن لا ينفـــع الحـــذر

على شاطئ البحر

يــا جيــرة البحــر غوصــوا   فــي كــل قــاع بَــرود
مــا البحــر عــنكم بمغــنٍ   علــى اطــراد الــورود
جيرانــه فــي احتــراق   علــى اخــتلاف الوقــود
مــا بــين لمــع ســماء   وبــين لمــع خــدود
فــلا نجــوا بقلــوب   ولا نجــوا بجلــود

القمراء

إن في القمراء من سحر الصبا   مســحة تفــتن عــين الــذاكرِ
تلمــح العــالم فيهــا مثلمــا   لاح فــي عــين شــباب بــاكرِ
بــين نــور كشــعاع المختلــي   وانتبــاه كنعــاس الخــادرِ

إلى ضحية الغيرة

أنــتِ مظلومــة ومــا أنــا بالظــا   لم بل نحن في القضاء سواء
غيــرة الحــب جرعتنــا ظنونًــا   لــك فيهــا ولــي كــذاك شــقاء

على البحر

حبــذا البحــر مــن قــويٍّ غريــر   كــاغترار الصــبا بغيــر حســابِ
نفـث النـوم فـي جنـوني وزَجَّـى   سـكرات الأحـلام فـي أعصـابي
نمــتُ ليلــي عليــه نومــة مــوتَى   وتيقظــت يقظــة الأربــابِ
أجمـع المـوت والربوبـة تخـرج   مـن معانيهمـا بمعنـى الشـبابِ

الشتاء والربيع

كــل بــادٍ يريــد أن يتــوارى   فـي الشـتاء المُغلَّـف المسـدود

كـل خـافٍ يريـد أن يتجلـى   فـي الربيـع المزخـرف المشـهود
هـات لـي العالم الصريح ودعنا   مـن حيـاة خجلَـى وطبـع بـرود

في القمر

في الليلة القمراء ما أحلى النظر!   لكـل شـيء لاح في ضـوء القمـر
حتى الثرى، حتى الحصى، حتى الحجر

•••

ليسـت مـن الآجُـرِّ هاتيـك البنـى   لا بـل خيـال مـن ظـلام وسـنى
كخيلـة الأشـكال فـي السـحب لنـا

•••

أكـاد عنـد رؤيتـي طِلَاءهـا   أرسـل عينـيَّ لمـا وراءهـا
كمـا تخـوض نظـرة قضـاءها

•••

قد شف بالصخرة مصباح الدجى   فكيـف بـالنفس وكيـف بالحجـا
عـاش علـى مـر الليـالي مسـرجا

حيرة

لـك الله يـا حـب مـن حيـرة   تهـد القـوى وتبُـتُّ الأجـل
أرى الحيـوان سـعيدًا بـه   وإن الشـقيَّ بـه مـن عقـل
أترضـاه فـوق منـال الظنـو   ن وما فوقها فهو فوق الأمل؟
وإلا فكيـف تطيـق الظنـو   ن وأهون ما في الظنون الخبل؟

هدية

فـي الـروض رمـان وكُمَّـ   ـثرى تغـازل منـك ثغـرا

فـــيم اســـتبحت ذمارهـــا فهصـــرتها بـــالراح هصـــرا
أمـــن القلـــوب حســـبتها فعلوتهـــا قطعًـــا وبتـــرا
لا تشـــك مـــن عـــدل الجـــزا ء إذا أصـــابت منـــك ثـــأرا
جرحتـــك حـــين جنيتهـــا فـــاعرف لهـــا ذنبًـــا وعـــذرا

•••

ثمـــر الريـــاض! تعـــال يـــا ثمـــر الريـــاض! جُزِيـــتَ عشـــرا
آليـــــت لا لُبًّـــــا تركـــــ ـــت ولا تركـــت عليـــك قشـــرا
خـــذ هـــذه؟ خـــذ تلـــك؟ هـــا ت اللـــب هـــات القشـــر مُـــرّا
أتعضـــــه شـــــوقًا إليـــــ ـــه ومهجتـــي بالشـــوق حَـــرَّى
لا غـــرو تســـتحلي المـــذا ق فأنـــــت بـــــالحلواء أدرى

•••

نعـــــم الثمـــــار أحبهـــــا نظمًـــا كمـــا اتفقـــتْ ونثـــرا
أهـــــديتنيها مـــــن ريـــــا ضـك زنـت يـا روضـي فشـكرا
فاضـــت علـــى قلبـــي هـــوًى وجـــرت علـــى شـــفتيَّ شـــعرا

العيش جميل!

صـــفحة الجـــو علـــى الـــزر قـــاء كالخـــد الصـــقيل
لمعـــة الشـــمس كعـــين لمعـــت نحـــو خليـــل
رجفـــة الزهـــر كجســـم هـــزه الشـــوق الـــدخيل
حيـــث يممـــت مـــروج وعلـــى البعـــد نخيـــل
قـــل ولا تحفـــل بشـــيء إنمـــا العـــيش جميـــل!

متاع جديد

مـن جديـد المتـاع يـوم خريـف   تحـت وهـج السـماء عـاد ربيعـا

ومحيـا فـي الأربعـين وديـع   تحـت بـث الغـرام شـب سـريعا

نضـح القلـب بالجمـال فسـوى   مـن ثنايـا الغضـون وجهًـا بـديعا

ذاك أحلـى مـن الشـباب شـبابًا   ومنـى الـنفس مـا يعـز رجوعـا

متفرقات

تكريم

أُلْقِيَتْ في الاحتفال الذي أقامه أبناء أسوان المقيمون بالقاهرة؛ تكريمًا لصاحب السعادة إبراهيم عامر باشا، الذي تبرع للدفاع الوطني بخمسة آلاف جنيه، وكان أسبق المتبرعين، وقد أُنْعِمَ عليه برتبة الباشوية، وأُقِيمَ الاحتفال لهذه المناسبة:

بلـــدة الشـــمس والجبـــال — كيـــف لا تنجـــب الرجـــال؟
أنجبـــــت مثـــــل عــــامر — وهـــو فـــي الهمـــة المثـــال
الــــذي فـــي جهــــاده — ســـبق القـــول بالفِعَـــال
والــــذي كــــان أول الصــــ — ــف فـــي حومـــة النضـــال
عنـــدما نُـــودِيَ «الـــدفا — ع» بـــدا فـــارسَ المجـــال
وتـــلا مَـــنْ تـــلا وصـــا — ل بنـــو النيـــل حيـــث صـــال
أشـــجع النـــاس بـــاذل — هـــزم الشـــح والمطـــال
كـــرم الـــنفس كالشـــجا — عـــة مـــن أنـــدر الخصـــار

•••

يـــا بنـــي مـــوطني! وأنـــ — ـــتم علـــى ذروة القـــلال
كَرِّمُـــوا الـــذروة التـــي — رفعـــت هامـــة الهـــلال
رفعـــت أَرْؤُسًـــا وطـــا — لـت مـع المجـد حيـث طـال
واحمـــدوا فـــي احتفـــالكم — أجـــدر النـــاس باحتفـــال
العصـــاميّ فـــي الغِنَـــى — والعِظَـــاميّ فـــي الخـــلال

والذي جد وحده ... فشأى عصبة الرجال

والذي كل درهم ... في تجاراته حلال

زانه الله بالأما ... نة والصدق في المقال

والمضاء الذي يجدّ ... ولا يعرف الكلال

والنظام السويّ في ... غير ضيق ولا اختلال

يتبع المال صاغرًا ... من له العزم رأس مال

•••

لقب حازه وكم ... حازَ من قبله ونال

لم يزد فضله به ... فهو ذو الفضل لا جدال

•••

كَرِّمُوه تكرموا ... خير دار، وخير آل

إن أُسْوَان ما خلت ... قط من معدن الكمال

صخرها جوهر الخلو ... د وأنموذج الجمال

وبنوها وأنتمُ ... من بَنِيهَا بخير حال

لكم المجد لا يزا ... ل من الأعصر الخوال

إنما المجد بالعلا ... لا جنوب ولا شمال

•••

يا صديق ويا ابن قو ... مي وجاري على اتصال

أقرب القرب بيننا ... شِيمَة فيك لا تُنال

شيمة النُّبْل في استقا ... مة طبع وفي اعتدال

شيمة العزة التي ... لا يُغالي بها اختيال

إنها جيرة لها ... أبعد الناس مستمال

لا تـــزل غانمًـــا بهـــا   هانئًـــا فـــي هـــدوء بـــال
يَرتضـــي ســـعيك المَلِيـــ   ـــك ويرعـــاك ذو الجـــلال
وحواليـــــك دولـــــة   مـــن محبيـــك لا تـــدال
تتلقـــــاك نعمـــــة   أبـــد الـــدهر فـــي اقتبـــال

نداء طفل

أُرْسِلَتْ إلى عروسين:

ســـــرى إلـــــى الآذان   فـــي غفـــوة الوســـنانِ
نـــداء طفـــل جـــريء   مســـــتعجل لهفـــــانِ
عجبـــت منـــه صـــغيرًا   يقـــول طلـــق اللســـانِ
«أبـــي كـــريم وأمـــي   كريمـــة فـــي الحســـانِ»
كلاهمـــــا فـــي رواء   مـــن الصـــبا وازديـــانِ
كلاهمـــــا ذو فـــؤاد   مجمَّـــــل بالحنـــــانِ
كلاهمـــــا يتمنـــــى   بـــين الصـــغار مكـــاني
فلـــــي أحـــق رجـــاء   فـــي عـــالم الإنســـانِ
وفـــــي ولادة يُمْـــــنٍ   تُـــــزَفَّ بالمهرجـــــانِ
وفـــي احتفـــال ختـــان   وفـــي احتفـــال قِـــرَانِ
وفـــي احتفـــال نجـــاح   يجـــوز كـــل امتحـــانِ
هيـــا ادعـــواني ســـريعًا   إليكمـــــا واهـــــدياني
وقَرِّبَـــا لـــي ضـــياء الشـــ   ـــموس والأكـــــوانِ

•••

قـــالوا: انتظـــر! قـــال: لا لا   هيهـــات لســـت بِـــوانِ
قـــالوا تعقـــل قلـــيلا   يـــا أعقـــل الفتيـــانِ!

فكـــــل شـــــيء لــــدينا ... موكَّـــــــــل بــــــــأوانِ
أتحســــب العـــيش رهنًـــا ... بمـــا قضـــى الأبـــوانِ
فصـــاح صــيحة ســخط ... وقـــال فـــي عنفـــوان
مـــا لــي أنـــا؟ أنـــا مـــا لــي؟ ... هيـــا ادعـــواني ادعـــواني
أتأبيـــــان لقــــائي ... مــــا أنتمـــا منصـــفانِ

•••

لا تعــــذلوه إذا مــــا ... أطـــال فـــي الهـــذيانِ
فالطفـــل غيـــر صـــبور ... علــى الحجـــا والبيـــانِ
والطفـــل هيهـــات يـــدري ... يومًـــا بحكـــم الزمـــانِ
فاســــتمهلاه برفــــق ... وحيلــــة وافتنــــانِ
ولا تطـــــيلا عليــــه ... فـــي الغيـــب عـــد الثـــواني
فكلنـــــا نترجـــــى ... قدومـــه فـــي أمـــانِ

إلى صديقي موفق جلال في الشهر الثامن عشر من عمره المديد

يـــا صـــاحبي يـــا أصـــغر الـــ ... أصـــحاب فـــي ســـن وقـــدِّ
يـــا شـــاغلًا مـــن حيـــز الـــ ... آمـــال والأحـــلام عنـــدي
مـــا لـــيس يشـــغله كبـــار ... ر القـــوم فـــي قـــرب وبُعْـــدِ
أنـــا عـــالم أن لســـت تهـــ ... ـــوى صـــحبتي إلا لقصـــدِ
إلا لحلـــوى فـــي يـــدي ... أو لعبـــة أو هـــزِّ مهـــدِ
أو صـــفحة تعـــدو إلـــى ... تمزيقهـــا كالمســـتعدِّ
أنـــا عـــالم مـــا فيـــك مـــن ... مكـــر ونســـيان لعهـــدِ
لكـــنَّ أوفـــى الأوفيـــا ... ء وأيـــن هـــم فـــي كـــل عهـــدِ؟
لا يبلغـــون مـــداك فـــي ... شـــوقي وإيثـــاري وحمـــدي

وقبـــول مـــا تقضـــيه مـــن عطـــف ومـــن تيـــه وصـــدِّ

والعـــض مـــن تلـــك الثنـــا يـــا الناشـــطات إلـــى التعـــدي

وطويـــــل حقـــــد لا يطـــــو ل هنيهـــــة وقصـــــير حقـــــدِ

وفنـــــون هـــــزل لا تـــــزا ل تجـــــد فيهـــــا أي جـــــدِّ

وعنـــــــاد رأي لا يليـــــــ ـــن ولا يكـــف عـــن التحـــدي

وتغاضـــــــب يجـــــــدي إذا كـــان التوســـل لـــيس يجـــدي

أنـــــا عـــــالم هـــــذا وذا ك وبـــالغ فـــي العلـــم جهـــدي

حتـــى نـــراك تشـــق مضـــ ـــمار الـــدهاء بغيـــر نِـــدِّ

جهـــد الحكايـــة أن تُـــدا رِيَ فـــي غـــد مـــا أنـــت مُبْـــدِ

يـــا صـــاحبي يـــا أصـــغر الـــ أصـــحاب فـــي ســـن وقـــدِّ

يـــا شـــاغلًا مـــن حيـــز الـــ آمـــال والأحـــلام عنـــدي

مـــا لـــيس يشـــغله كبـــار ر القـــوم فـــي قـــرب وبُعْـــدِ

أنـــا عـــالم أن لســـت تهـــ ـــوى صـــحبتي إلا لقصـــدِ

إلى طبيب العيون الدكتور نصر فريد

قـل لآسـي العيـون نصـر فريـد قـد عرفنـاك هـاديَ الهـاديين

رُبَّ عـــين هـــديتها لضـــياء وضـــياء تهديـــه طوعًـــا لعـــين

كـل مـن حـاد منهمـا قَوَّمَتْـه نظـرة منـك فاهتـدى بعـد أيـن

عجبـــي مـــن زجاجـــة تنتقيهـــا فـإذا الكـون مشـرق الصـفحتين

أيـن شـأن الزجـاج مـن ذاك لـولا نـور علـم يضـيء فـي الخـافقين

تحية موسيقية إلى ملك العراق

اقترحتها إحدى الفرق الغنائية لإنشادها في رحلة إلى بغداد:

غـازي قلـوب الشـعب بـالكرم والفضـل والتـدبير والحسـنى
غـازي العـدى بالبـأس والهمـم حسـنت طوالـع سـعدك اليمنـى
أحييـت فـي بغـداد للـدنيا عهـدًا كعهـد أخيـك مـأمون
تحيـا وشـعبك دائمًـا يحيـا فـي مـوطن بهـداك مـأمون

•••

دُمْ يـا إمـام العـرب مشـتملًا بالملـك فـي عـز وإقبـال
واجعـل شـباب العـرش متصـلًا فـي مجـده بشـبابك الغـالي

القلم المسروق

زاملني في السجن ذاك القلم [١] ونالـه مـا نـالني مـن قسـم
ومَـسَّ مـن فكـري وأسـراره مـا رامـه النـاس ومـا لـم يُـرَم
فـرُبَّ معنًـى مـا وعـاه سـوى ريشـته ثـم انطـوى فانحسـم
وكـم لـه مـن حصـة تُرتضـى فيمـا جـرى مـن أدب أو حكـم
وكـم لـه مـن نفحـة كالصَّـبا وكـم لـه مـن لفحـة كالضَّـرم
وكـم لـه مـن زهـر مُجتنـى وكـم لـه مـن ثمـر مُلـتهم
سـجَّل مـا سـجَّل مـن رحمـة أو نقمـة مـرت بـأرض الهـرم

•••

ورُبَّ مسـكين قضـى حقـه وغاشـم أحصـى عليـه اللمـم
أعززتـه عـن حليـة تُقتنـى وصـنته عـن غاليـات القـيَم
ولـي أخٌ يـذكرني بـالنعم فقلـت أجـزي بعـض تلـك الـنعم
فلـم أجـد أنفـس منـه لمَـنْ محَّضَـني قلبًـا نفـيس الشِّـيم
قـد صـان مـا أكتـب فـي صـدره فغيـر بـدع أن يصـون القلـم

(١) كان هذا القلم من الودائع التي بقيت في السجن أشهرًا ملفوفة محبوسة كذلك.

يظــل يســتوحيه فــي كــل مــا … أوحــى ويرعــاه كرعْــي الــذمم
رعــاه فــي أمــن إلــى أن قضــى … عليــه بالفقــد قضــاءٌ حَــتَم
فغالــه منــه لصــوص لهــم … مــن كــل عــين فرصــة تُغتــنم
فــي يــوم حشــر حافــل المــزدحم … ضــلت بــه العــين مكــان القــدم
قــد نــام عنــه لمحــة فــي الضــحى … فبــات فــي ليلتــه لــم يــنم

•••

أمــا وقــد فارقتنــا يــا قلــم … وصــالح اليــأسُ عليــك الألــم
فخيــر مــا أرجــوه أن لا تُــرى … فــي كــف خَــوَّان ولا مُــتَّهم
ولا تخــط الجهــل فــي صــفحة … «أبيض» مـا فيهـا سـواد الحمـم
ولا تكــن يــا قلمــي آلــة … تشــتمني بــاللغو فــيمن شــتم
فتــنظم الحكمــة لــي مــن هنــا … ومــن هنــا تنحــى علــى مَــنْ نظــم
بــدأت فــي الأوج فــلا تنحــدر … إلــى حضــيض الــذل فــي المختــتم

شبيه القلم المفقود

شــبية القلــم المفقــو … د فــي لــون وفــي حجــم
البــائع والشــاري … وفــي الصــنعة والرســمِ
ســتغنيني إذا استغنيــ … ــت بعــد الــروح بالجســمِ
أو اســتغنى بتمثــال … فــؤاد الأب والأمِّ
إذا عزاهمــا عــن را … حــل عــزى علــى رغــمِ
وقــد يســلى إلــى حــين … وفــي الســلوة مــا يــدمي

رثاء

رثاء غانم

كان الأستاذ غانم محمد صديق صاحب الديوان يزوره يوم عيد الفطر، ثم طاف ببعض إخوانه، ورجع إلى بيته، فما استقر لحظة بين أبنائه وآله حتى أصابته نوبة قلبية قضت عليه – رحمه الله – وهو في عنفوان أيامه، فلم تمض بين تهنئته ونعيه غير ساعات:

أكان وداعًا يوم صافحتُ غانمًا ... وهنأته بالعيد والعيد يسخرُ!

فيا ويح للداعين في غفلة المنى ... يُرَجُّون طول العمر والعمر مُدْبِرُ

ويا ويح للأبناء يا خير والد ... وقد رُوِّعوا في وكرهم حين بشروا

أذاك صياح العيد أم أنا سامع ... صياح يتامى في الحِمَى تتفطرُ؟

تلاحق في تلك الثغور كلاهما ... فيا هول ما نصغي إليه وننظرُ

وددتُ وقد ضن البشير بصدقه ... لوَ انَّ نذيرًا بالمساكين يعبرُ

أغانم إني في مصابك ذاهل ... قليل التعزي سافر الحزن مضمرُ

بذلت دموعي في بكاك رخيصة ... ومثلك من يُبكى ويُرثى ويُذكَرُ

أفي كل يوم تبصر العين غانمًا ... ومن أين؟ والأخلاق في الناس تندرُ

عرفت «أبا فتح» تولاه ربه ... أخًا في وغى الأيام لا يتقهقرُ

وفيًّا إذا شاع الوفاء وإنه ... عليه إذا عز الوفاء لأَقْدَرُ

كريمًا إذا صال العداة وزمجروا ... كريمًا إذا خان الصحاب وقصروا

صبورًا على ضَرِّ الغريم وإنه ... على الضر من ظلم الصديق لأَصْبَرُ

ضليعًا بأعباء الأمور إذا ونَى ... مدبِّر أمر أو أساء مُقَدِّرُ

أخوك «أمين»[1] فرَّق العام منكما ... صــفيين لــم يفرقهمــا مــا يكــدرُ
علـى موعـد العـام لقصـير التقيتمـا ... فليتــك مــن يســهو ومــن يتــأخرُ
سلام الخصال الصالحات عليكما ... وحمــد المعــالي والثنــاء المعطــرُ
ولا زال فـي دار المعـارف منكمـا ... صـنيع علـى الأيـام يـروي ويشـكرُ

على أطلال الدنيا

إذا انطوت الدنيا لم يبقَ من أبنائها أحد، فليس هناك خسارة، وليس هناك من يشعر بالخسارة.

وإذا شهد للدنيا شاهد بالخير، فإنما يكون هذا الشاهد من أبنائها، وإنما يشهد بما أعطته وأغدقت عليه، وإنما شهادته نفسها عطية من عطاياها وكلمةٌ من لسانها، فليست هي بالشهادة المقبولة.

وإذا حسبنا ما للدنيا وما عليها فالنتيجة صفر؛ لأن النتيجة هي العدم:

قضــيت الآن يــا دنيــا فقــري ... لمن أرثيك؟ ويحك! لست أدري
فمـا أنجبـت غيـر ذويـك نسـلا ... وهــم تبعــوك فــي أعمــاق قبــرِ
ومــاذا فيــك مــن ذخــر جميــل ... لعــين «المســتقل» المســتقرِّ
أراك كمــا اشــتهى الأحيــاء طــرًّا ... فأمــا الميتــون فلســت أدري
وكنـت علـى ضـيائك أنـت مـرأى ... وسـيمًا فـي عيـون بنيـك يسـري
فأمــا الآخــرون فمــا اســتهلوا ... عليــك ولا رأوك بعــين حــرِّ
إليـك ومنـك مـن وجـدوك حينًـا ... ومــن فقــدوك بعــد ضــياع عمــرِ
حســبنا جانبيــك علــى اســتواء ... فيــا لــك حسـبة ختمـت بصـفرِ

---

[1] الأستاذ أمين لطفي، وقد توفي أيام العيد قبل صديقه وزميله بعام واحد.

الفهرس